

إلى أخي وأختي

رسائل هادية إلى حياة طيبة

عبد الوهاب الطريري

إلى أخي وأختي

رسائل هادية إلى حياة طيبة



إلى أخي وأختي

رسائل هادية إلى حياة طيبة

عبد الوهاب الطريري



مقدمة



أخي العزيز، أختي العزيزة!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تحية من عند الله مباركة طيبة.
أخاطبكم برابطة الأخوة الإنسانية التي تجمعنا، فالأسرة البشرية عائلة
كبيرة، ينبغي أن تستشعر هذه الرابطة فيما بينها.
وأخاطبكم برابطة الإيمان والإسلام، تلك الرابطة الوثقى، والأخوة
الخالدة الباقية؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فكل مسلم على هذه الأرض يستشعر هذه الرابطة بينه وبين كل من
يشاركونه إيمانه بالله رباً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالإسلام ديناً.

فنحن نشعر معكم برابطة الإيمان التي تجمعنا، إذا دعونا الله استشعرنا
أن إخواننا وأخواتنا يدعون ربنا الذي ندعوه، وإذا اشتقنا إلى نبينا محمد
الذي نؤمن به ونحبه استشعرنا أن إخواننا وأخواتنا يشاركوننا

ﷺ
ﷺ



الإيمان بهذا النبي ويحبونه كما نحبه، وإذا توجهنا إلى القبلة في صلاتنا استشعرنا أن إخواننا وأخواتنا يتوجهون إلى حيث نتوجه، ويصلون لله كما نصلي، فكل مسلم يشعر بعلاقة أخوة بكل مسلم مهما كان وطنه وجنسه. وحينما نهنتكم بالهداية للإسلام فإننا كذلك نهنى أنفسنا بكم، ونهدي إليكم محبتنا وبعض ما تعلمناه من ديننا، ومنتظر منكم أن تبادلونا هذا الحب، وأن تقع هذه الرسالة من نفوسكم موقعاً طيباً، وأن تكون بداية لمحبة عميقة وعلاقة وثيقة.

وهي رسائل مختصرة لبعض معالم الدين الهادية، والتي بمعرفتها تتضح رسالة الحياة، ويجد كل باحث عن المعنى معنىً لوجوده، ويخرج من متاهة.

جئت لا أعلم من أين ولكنني أتيتُ

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيتُ

وسأبقى ماشياً إن شئت هذا أم أبيتُ

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟ لست أدري! (١)

وسوف تتضح أمامه الرؤية، فيعرف طريقة ومسار حياته، ومهمته فيها، ووظيفته ومسؤوليته وإنجازه في عمره، وتُكشف له أستار الغيب عمّا

(١) من قصيدة: «الطلاسم» لإيليا أبو ماضي.



بعد الحياة، ومصير الخلود الأبديّ، وإنما يجيب على أسئلة الحياة من وهب الحياة، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وعندما نأخذ إجابات تساؤلاتنا من الوحي الإلهي فإننا نمسك بالعروة الوثقى والحقيقة الصادقة، ونعيش يقين الإيمان، وطيب الحياة، وطمأنينة النفس في هذه الحياة العابرة، وفي الحياة الآخرة الخالدة، ونغادر هذه الحياة ونحن نتلقى نداء الله: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ (٢٧) أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّاتِي ﴿[الفجر: ٢٧-٣٠]﴾. فمع هذه الرسائل الأخوية، مصحوبةً بمحبتتي الصادقة، ودعواتي الخالصة.

أخوكم

عبد الوهاب الطريري

إسطنبول - باشاك شهير

١٠ / ٨ / ٢٠٢٣ م



أولاً



إيماننا

حياةٌ طيبة

كم هي الحياة عابسةٌ وبائسةٌ حين تكون مقفرة من الإيمان بالله، والصلة به، والتوجه إليه، والأنس به!

إنها حياة كئيبة يعيش صاحبها غربةً مُوحِشةً، فلا علاقة له بالوجود قبله، ولا بالكون حوله، يعيش غربة عن بداية عمره قبل وجوده، وعن مصيره بعد موته؛ لا يعرف إلى أين يتجه، ولا إلى أين ينتهي؟! يشعر أن حياته ستنتهي كما تنتهي حياة حشرةٍ سحقها قدم تسير في الطريق وهي لا تشعر.

تلك هي الحياة التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤]. إنه ضيقٌ في العيش مهما كانت حياته مرفهة، فهو في ضيقٍ نفسي، يتخبط في متاهة الحيرة، ويسير إلى غير اتجاه، وينتهي إلى مجهول، فأَيُّ ضنكٍ وضيقٍ لِمَنْ كانت هذه نظرتة وهذا إيمانه؟!



أما مَنْ أكرمهُ اللهُ فأضاءت بصيرته بأنوار الإيمان، عَرَفَ رَبَّهُ وَآمَنَ بِهِ، وَعَمِلَ لَهُ، وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ، فَإِنَّ أَوْلَ هَبَاتِ اللهِ وَعَطَايَاهُ تَصِلُهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، فَيَعِيشُ حَيَاةً طَيِّبَةً، فِيهَا طَمَآنِينَةُ الْيَقِينِ، وَسَكِينَةُ الرِّضَا، وَوُضُوحُ الطَّرِيقِ، يَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ أَتَى؟ وَإِلَى أَيْنَ سِيرَ؟ وَأَيْنَ سَيَتَمَتُّهُ؟ ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

إِنَّ الْإِيمَانَ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ جَزَاؤُهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فِي هَذِهِ الْأَرْضِ، وَلَا يُهَيِّمُ أَنْ تَكُونَ نَاعِمَةً رَغِيدَةً ثَرِيَّةً بِالْمَالِ، فَقَدْ تَكُونُ بِهِ وَقَدْ لَا يَكُونُ مَعَهَا، ففِي الْحَيَاةِ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ غَيْرُ كَثْرَةِ الْمَالِ تَطْيِبُ بِهَا الْحَيَاةَ، فِيهَا الْإِتِّصَالُ بِاللَّهِ، وَالثِّقَّةُ بِهِ، وَالْإِطْمِئْنَانُ إِلَىٰ رِعَايَتِهِ وَسِتْرِهِ، فِيهَا الصِّحَّةُ وَالهُدُوءُ وَالرِّضَا وَالْبَرَكَةُ، فِيهَا سَكَنُ الْبُيُوتِ، وَمُودَاتِ الْقُلُوبِ، فِيهَا الْفَرَحُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَأَثَارِهِ فِي الضَّمِيرِ وَأَثَارِهِ فِي الْحَيَاةِ، وَحِينَ يَسْتَنِيرُ الْقَلْبُ بِالْإِيمَانِ يَكْتَسِبُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهَا بِهَجَّةٍ وَنَضْرَةً وَنَعِيمًا، وَيَجِدُ الْإِنْسَانَ مَعَ الْقَلِيلِ الرِّضَا وَالْبَرَكَةَ، كَانَ نَبِينَا ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَأَوَانَا، وَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَّ»^(١). إِنَّ هَذَا الْإِئْتِنَانَ الْعَظِيمَ لِلَّهِ يَعلَنُهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ نَعْمٍ مُعْتَادَةٍ مُتَكَرِّرَةٍ فِي حَيَاةِ كُلِّ مَنْ، لَقْمَةُ الطَّعَامِ، وَرَشْفَةُ الشَّرَابِ، وَسَكِينَةُ الْمَأْوَى، وَنِعْمَةُ قَلِّ مَا تَنْفَطِنُ لَهَا، وَهِيَ أَنَّهُ كَفَانَا، أَيُّ: صَرَفَ عَنَّا أخطاراً وَأَمراضاً كُنَّا عُرضَةً لَهَا، فَحَفِظْنَا وَكَفَانَا إِيَّاهَا، فَأَيُّ نَعِيمٍ وَرِضَا هَذَا الَّذِي يَتَجَدَّدُ مَعَ كُلِّ لَقْمَةِ طَعَامٍ، وَرَشْفَةِ

(١) «صحیح مسلم» (٢٧١٥).



ماء، وإغفاءة نوم، وسكينة سكن!، مع كل خفقة حب، وإحساسٍ بالصحة، وتنعم بالكفاية والعافية، إن هذه النعم اكتسبت النعيم بها لعظمة الإيمان بأنّها نعم الله وعطاؤه وفضله، وهي أول هبات الله للمؤمنين في حياتهم الدنيا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إنها الطمأنينة في الحياة فلا قلق، والسكينة فلا اضطراب، ولذا وصف الله نفوس المؤمنين بالطمأنينة، وهي طمأنينة متجددة تصحبهم في حياتهم وعند مماتهم وعند بعثهم، وعند دخولهم الجنة: ﴿يَأْتِيَنَّهَا أَلْفُ أُسْرَةٍ مِّنْ أَلْفِ أُسْرَةٍ ۗ وَرَأْسُ شاةٍ مِّمَّاتٍ مِّنْ مِّمَّاتٍ ۗ ذٰلِكَ جَزَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَأَجْرُهُمْ أَتَمٌّ ۗ وَلَا يَبْغُونَ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ٢٧]، إنها نفوس مطمئنة بإيمانها فلا تشك ولا ترتاب، ومطمئنة في طريقها فلا تنحرف، ومطمئنة في حياتها فلا تقلق ولا تجزع.

ثم تنادى عند الموت بهذا النداء الرضيّ النديّ: ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾. ربك الذي آمنت به في حياتك، وتوجهت إليه في صلاتك، أنّ لك أن ترجعي إليه راضية مرضية.

ولك البشرى أنّك مع عباده المرضيين الذين أنعم عليهم من النبيين والصدّيقين، وأنتك عنده في جنته.



ويالْعَظْمَةَ الْإِنْسَانِ حِينَ مَا يَقُولُ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: ﴿عَبْدِي﴾ و﴿جَنَّتِي﴾،
 فينسب العباد إليه، ويضيف الجنة إلى نفسه، ليشعرهم بذلك أنهم في جنة
 الله وعنده وبقربه، كما قالت الصالحة امرأة فرعون: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ
 بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحریم: ١١]، إنه ليس مجرد بيت، ولكنه بيت عند الله.

هذا القرب من الله يعيشه المؤمن في الدنيا إيماناً و يقيناً، ويعيشه في
 الآخرة حقيقةً وثواباً.

إنهم المقربون الأبرار..

جعلكم الله -أخي وأختي- منهم في دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ.



العلم بالله

عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ مَعَكَ أَعْظَمُ؟». قلت: الله ورسوله أعلم، ثم قال: «أَبَا الْمُنْذِرِ، أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّجَلَّ مَعَكَ أَعْظَمُ؟». قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال: فضرب في صدري، فقال: «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»^(١). وهنا نتساءل ما الذي جعل هذا الصحابي يقصد هذه الآية بالذات ويعلم أنها أعظم آية في القرآن؟، لقد علموا أن العلم بالله أشرف العلم وأعظمه، وأن الآية هذه في تعظيم الله ووصف لكماله وقيوميته وإحاطة علمه وعلوه وعظمته عَزَّجَلَّ، فهي إذن أعظم آية في القرآن، واحتفى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بمعرفة أبيّ وعلمه فضرب على صدره مهتتاً له بهذه البصيرة القرآنية، وهكذا كان الصحابة يقرأون القرآن ويتعرفون منه على الله بمحبة وتعظيم، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعث رجلا

(١) «صحيح مسلم» (٨١٠).

على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَضَعُ ذَلِكَ؟». فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ بها، فقال النبي ﷺ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»^(١).

أخي وأختي، كم هي حاجتنا ماسة أن نتعرف على الله، ربنا وخالقنا الذي أوجدنا من العدم، وربانا بالنعيم، ثم سيكون إليه مصيرنا ومنتهى أمرنا: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]، فتتعرف على أسمائه وصفاته، وتتعرف على عظّمته وقدرته، وتتعرف على كرمه ورحمته، وكلما تعرفنا على الله أكثر اقتربنا منه أكثر، وأحببناه أكثر.

ومن أعظم ما يعرفنا بالله قراءة ما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٢) ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣) ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ

(١) «صحيح البخاري» (٧٣٧٥)، و«صحيح مسلم» (٨١٣).



أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ ۗ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن
لَّهُ وِليٌّ مِّنَ الدُّنْيَا ۗ وَكَبِّرَتْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ
لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

ومما يزيدنا معرفة بالله التفكر في مخلوقاته وآياته الكونية، والنظر
إلى عظمة الخلق باعتبارٍ وتفكرٍ وكأننا نراها أول مرة، فننظر إلى السماء
ومجراتها ونجومها وما فيها من عظمة وإبهار، وما في الأرض وجبالها
وبحارها وأشجارها وحيواناتها من عجائب الخلق وبديع الصنع، ﴿إِنَّ
فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي
الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ
بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَقَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا
سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].



وعندما نتعرف على الله فإننا سنحبه من كل قلوبنا.

نحبه لأوصاف الجلال والجمال والعظمة، وكمال قدرته وحكمته وعلمه، ورحمته التي وسعت كل شيء.

ونحب الله لعظيم فضله علينا، فهو الذي أوجدنا من العدم، وهو الذي كرمنا وفضلنا على كثير من خلقه؛ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

وهو الذي سخر لنا عظيم مخلوقاته في هذا الكون؛ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجن: ١٣].

ونحب الله **عَزَّجَلَّ** لجميل إنعامه وكثرة نعمه؛ ﴿وَمَا يَكْمُرُ مِنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ومن أعظم نعمه علينا هدايتنا إليه، وقد ضل كثير من البشر، ف﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ومن إنعامه علينا رزقنا، وصحتنا وكفائتنا، ولذا كان نبينا **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إذا أكل طعاما قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمِينَ﴾^(١). وقال الله لنبيه **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وأول من نُحدثه بنعمة ربنا أنفسنا، فنجدد تذكُّر النعم، والامتنان لله على إنعامه علينا بها.

(١) سنن أبي داود (٣٨٥٠)، و«سنن الترمذي» (٣٤٥٧).



ونحب الله لرحمته الواسعة بنا، ومن رحمته كتابته للحسنات والسيئات، فمن عمل حسنة كتبها الله له عشر حسنات ثم ضاعفها أضعافا كثيرة، ومن عمل سيئة كتبها الله عليه سيئة واحدة، فإذا تاب واستغفر منها يمحوها ويبدلها حسنة.

وأنا إذا تبنا تاب علينا، وإذا استغفرناه غفر لنا، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧]، وأنه لن يتدننا بعقوبة ما دمنا مؤمنين به شاكرين لنعمه، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَعَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]، فما أعظم رحمته بنا، وأكثر نعمه علينا، وأوسع عفوه ومغفرته، وأكرم ثوابه وعطاءه!.

ولذا فإن المؤمنين بالله يحبونه أشد الحب: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وبالتفكر في نعم الله الغامرة المتابعة علينا، تعظم محبة الله في قلب المؤمن، وشوقه إلى لقائه، وحسن ظنه بكرم ربه وفضله.

وبالعلم بالله تعظم خشيته وإجلاله في قلب المؤمن، ولذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشِيَةً﴾^(١).

(١) «صحيح البخاري» (٦١٠١)، و«صحيح مسلم» (٢٣٥٦).



وبالعلم بالله تعظم الثقة به والركون إليه كما قال يعقوب لبيه: ﴿وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦]، قالها في أشد ساعات حزنه لما فقد ولديه يوسف وأخاه فقال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ يَبَيِّتِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٦-٨٧]، فلما كان يعلم من الله ما لا يعلمون رجا من الله ما لا يرجون، ولما تحقق ظنه بالله ووجد ولديه قال لهم: ﴿الْمُرْ أَقْلَ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٩٦]، فالعلم بالله هو أعلى العلم وخيره وأنفعه، وهو مفتاح حبه وتقواه ورجائه وخشيته، والتوكل عليه والركون إليه هو مفتاح كل خير.



العبادة لله وحده



لَمَّا حضر نبيُّ الله يعقوب إلى مصر رأى الوثنية وعبادة غير الله منتشرة فيها فلَمَّا حضرته الوفاة كان أكثر ما خاف على أبنائه وأحفاده أن يتسرَّب إليهم هذا الانحراف الخطير، وهو عبادة غير الله، فسألهم وهو يوشك أن يغادر الحياة قائلاً: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾؟ وأراد بذلك تأكيد الوصية عليهم بتوحيد الله **عَزَّوَجَلَّ** وأخذ ميثاقهم على ذلك، فقالوا له: ﴿نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالْإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، لقد كان يعقوب نبياً، وأبوه إسحاق نبياً، وجدّه إبراهيم نبياً، ومع تتابع الرسائل إليهم وكونهم جميعاً دعاة إلى التوحيد والإسلام إلا أنه خاف عند موته على بنيه من الانحراف عن رسالة الأنبياء، وذلك لانتشار الوثنية، فأعاد الوصية وأخذ العهد على التوحيد وذلك في أخرج لحظات الحياة، وهي لحظة الوفاة، فلم يكن شيء في تلك الساعة أهم عنده من توحيد الله **عَزَّوَجَلَّ** وإفراده بالعبادة ولا أعظم شأنًا.



إن الوثنية وعبادة غير الله هي أعظم حماقة ارتكبتها البشرية وظلت تتكرّر في تاريخها وتتنقل بين أجيالها.

ولذا تابعت رسالات الرسل تصحح هذا الانحراف وتوجّه البشرية إلى التوجه بالعبادة إلى الله وحده، دون واسطة أحدٍ من خلقه، وأن شعائر العبادات لا تؤدى إلا لله وحده، فكانت مهمة الرسل جميعاً هي إرشاد البشرية إلى التوجه بالعبادة إلى الله وحده لا شريك له، فلا يعبدوا الأصنام ولا الكواكب، ولا الرسل والأنبياء والصالحين، فكل هؤلاء مخلوقون لله وليسوا شركاء له، ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩]، وكان نداء كل نبي إلى قومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وجاءت آيات القرآن تكشف زيف الوثنية، وتبطل تعدد الآلهة، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فليس هناك إله مع الله يُعبد، وليس هناك واسطة بين الله وخلقته. فالله عزّ وجلّ قريب من عباده حين يعبدونه، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ»^(١).

(١) «صحيح مسلم» (٤٨٢).



والله قريب من عباده حين يدعونه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وحذر الله البشرية غاية التحذير من الإشراك معه في العبادة واتخاذ آلهة معه، وبين أن هذا الذنب الأكبر الذي لا يغفر، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، إن شناعة عبادة غير الله تتضح حين نعلم أن فيها مساواة غير الله بالله، فكيف يسوى بين الخالق والمخلوق، وبين الخالق العظيم الجليل والمخلوق الضعيف؟! وسوف يكشف هؤلاء المشركون زيف هذه التسوية وضلالها يوم القيامة حين يجتمعون مع آلهتهم في النار، قال تعالى: ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ ٩٦ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَافِلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَصَلْنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٩].

إن المسلم والمسلمة يعبدان ربهما كما كان إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يعبدونه، ويتوجهون إليه مباشرة بلا وسائط، فهو القريب المجيب عَزَّوَجَلَّ.

ويعلم المسلم والمسلمة أن أعظم ما يميزه في إسلامه أنه يتعامل مع الله مباشرة، فإذا دعا الله وحده، وإذا استغفر الله ربه، وإذا صلى صلى الله وحده؛ فيستشعر أن الله قريب منه غاية القرب، مطلع على ما في قلبه، وأنه معه حيثما كان: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤].



رسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ



من رحمة الله بعباده وإكرامه لهم أن أرسل إليهم رسله طوال فترات التاريخ المتعاقبة؛ ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وتتابعت رسالات الرسل متفقة على دعوة الناس إلى عبادة الله وحده، وإن تنوعت شرائعهم بما يناسب كل أمة وكل مرحلة تاريخية، وكان بعضهم يصدق بعضاً.

ثم ختم الله رسالات الرسل برسالة محمد ﷺ والذي دعا إلى ما دعا إليه الرسل قبله: ﴿إِنَّ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

ودعانا إلى الإيمان بجميع الرسل قبله، ومحبتهم والإيمان بكتبهم وما جاؤوا به.



﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِن رَّبِّهِمْ لَا نَفَرُقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُّبْتَلِينَ وَمُنذِرِينَ لِّئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥].

ولذا فنحن نؤمن برسول الله جميعاً، ونحبهم جميعاً، ونعتقد أنهم إخوة لبنينا محمد ﷺ، وأنه جاء مصدقاً لرسالاتهم وتماماً لها.

وجاء القرآن بقصصهم تصديقاً لرسالاتهم، واعتباراً بأخبارهم، وتثبيتاً لرسول الله ﷺ الذي دعا بدعوتهم ليصبر مثل صبرهم: ﴿وَكَلَّا تَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وتكرر ذكرهم في القرآن فجاء ذكر نوح (٤٣) مرة، وذكر إبراهيم (٦٩) مرة، وذكر موسى (١٣٦) مرة، وذكر عيسى (٢٥) مرة، ولم تذكر امرأة في القرآن أكثر من ذكر مريم العذراء، وسميت سورة كاملة باسمها.

فالإيمان برسالة محمد ﷺ إيمان برسالات الأنبياء قبله، ومحبة محمد ﷺ محبة لرسول الله جميعاً.



محبة الرسول ﷺ



إنَّ محبة النبي ﷺ من أهمِّ أسس الإيمان به، ومَنْ لم يُحب النبي ﷺ فهو لم يؤمن به حقيقةً، قال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ»^(١).

وإن من لوازم هذه المحبة اتباعه وطاعته، والشوق إليه، والصلاة عليه.

ونحن نحب نبينا محمداً ﷺ:

- لأن الله يحبه.
- ونحبه لكماله وفضله.
- ونحبه لعظيم معرفته علينا، وإحسانه إلينا بتبليغ الإسلام، فقد بلغنا الإسلام أعظم بلاغ، وبينه أوضح بيان، ولم يلحق بالرفيق الأعلى حتى استشهد الخلق أنه قد بلغهم رسالات ربهم جميعاً فقال للناس

(١) «صحيح البخاري» (١٤).



في حجة الوداع: «أَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(١).

- ونحبه لعلنا بحبه ﷺ لأُمَّته، كما قال الله عنه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

- ونحبه لأنه يحبنا، فقد عاش ﷺ متشوقاً لرؤية أجيالِ أُمَّته القادمة، الذين لم يدركهم في زمنه، ويقول لأصحابه: «وَدِدْتُ أَنَا رَأِيْنَا إِخْوَانَنَا»، قالوا: ألسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»^(٢).

- ونحبه لأنه أذاب نفسه همماً واهتماماً من أجلنا، حتى كاد أن يهلك حشراتٍ على مَنْ لم يؤمنوا من أُمَّته، فقال الله تعالى له: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ [فاطر: ٨].

ومما يزيد محبتنا له ﷺ:

- التعرف عليه بقراءة سيرته الثابتة عنه، ومعرفة أخلاقه العظيمة، وشمائله الكريمة، فهو الذي وصفه ربه الذي خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

(١) «صحيح مسلم» (١٢١٨).

(٢) «مسند أحمد» (٧٩٩٣)، و«سنن النسائي» (١٥٠).



ومن محبة رسول الله ﷺ :

محبة أهل بيته وأقاربه المؤمنين به: كعمه حمزة، وعمه العباس، وابن عمه وصهره علي بن أبي طالب، وابن عمه جعفر بن أبي طالب، وزوجاته جميعاً، وبناته زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وأحفاده الحسن والحسين، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

فنجبهم لقرباتهم لرسول الله ﷺ، ولصبرهم معه في دعوته، وتحملهم الشدائد لحماية النبي ﷺ ونصرته، ولذا زكّاهم الله وطهرهم فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ومن محبته ﷺ :

محبة أصحابه الذين آمنوا به في حياته وماتوا وهم متمسكون بدينه؛ وذلك أنهم:

- أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ.

- وَصَحِبُوا الرَّسُولَ ﷺ فِي حَيَاتِهِ.

- وَجَاهَدُوا مَعَهُ.

- وَبَلَّغُوا دِينَهُ وَنَشَرُوهُ مِنْ بَعْدِهِ، فَهَذَا الدِّينَ الَّذِي نَعْبُدُ اللَّهَ بِهِ إِنَّمَا وَصَّلَنَا

مِنْ طَرِيقِهِمْ وَرَوَايَتِهِمْ فَجَزَاهُمْ اللَّهُ عَنَا خَيْرَ الْجَزَاءِ.



فحبُّهم من محبة النبي ﷺ ، وهم كانوا أعلم الخلق به، وأحبَّهم له، وهم الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وتبليغ دينه فقال الله عنهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].



الدين قناعات عقلية ومشاعر قلبية



عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ: «وَيْلَكَ وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا فَإِنَّهَا قَائِمَةٌ؟». فَكَانَ الرَّجُلُ اسْتَكَانَ ثُمَّ قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرٍ عَمَلٍ مِنْ صَلَاةٍ وَلَا صَوْمٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أَحَبُّ إِلَهُهُ وَرَسُولَهُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَأَنْتُمْ كَذَلِكَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرِحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»^(١). قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ إِلَهُهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِيبِي إِيَاهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ.

إنّ هذا الدين قناعات عقلية، ومشاعر قلبية، فقد حفل القرآن باستنفار العقل للتفكير، وتتابع آيات القرآن بالحث على ذلك:

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٨٨).



﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٨]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الروم: ٨]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَجْدِي أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِيَ وَفَرْدِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

وليس فيما أنزله في كتابه أو شرعه لعباده ما يجعل العقل في أزمة، أو يتوقف الفكر عنده رافضاً أو حائراً.

وكما هو قناعة عقلية فهو مشاعر قلبية، ولذا فإن الذين آمنوا بالنبى ﷺ قناعةً واستدلالاً تحول الإيمان في قلوبهم إلى حب غامر لله ورسوله، وكان بعض الصحابة يقولون للرسول ﷺ بعد أن يسلموا: «وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهُ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهِكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ»^(١).

وبين النبي ﷺ أن هذه المشاعر القلبية عبادات مرتبطة بالإيمان فقال: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يُعَوَّدَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ»^(٢).

(١) «صحيح البخاري» (٤٣٧٢)، و«صحيح مسلم» (١٧٦٤).

(٢) «صحيح البخاري» (١٦)، و«صحيح مسلم» (٤٣).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَسُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»^(١).

وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن رحمة الخلق سبب لرحمة الله، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢).

ومن ذلك رحمة الحيوانات والرفق بها، قال رجل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي لِأَرْحَمُ الشَّاةِ أَنْ أَدْبَحَهَا». فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ»^(٣).
وأخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرِكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطْشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِّنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مَوْقَهَا فَسَقَتْهُ فَعَفَّرَ لَهَا بِهِ»^(٤).

فإذا كان هذا ثواب رحمة الحيوان فكيف برحمة الإنسان
لأخيه الإنسان؟!



(١) صحيح مسلم (٥٤).

(٢) سنن أبي داود (٤٩٤١)، و«سنن الترمذي» (١٩٢٤).

(٣) مسند أحمد (١٥٥٩٢).

(٤) صحيح البخاري (٣٤٦٧)، و«صحيح مسلم» (٢٢٤٥). والركية: البئر، والموق: الخُفّ.



لا ظلمَ اليوم

إنَّ الجزاءَ الأخرويَّ جزاءَ عادلٍ، فلا تُظلمَ نفسٌ شيئاً، ولا يُعاقبَ الله أحداً بذنبٍ لم يفعلهُ، ولا يعاقبه بأكثر مما يستحقُّ، فالله حكم عدلٌ، ورحمته سبقت غضبه، ولا يوقع العقوبة إلا على من يستحقها باعترافه وإقراره. ولذا يبيِّن الله لعباده أن الجزاء في يوم القيامة بما كسبت كلُّ نفسٍ، فهو يوم العدل الذي لا ظلمَ فيه، فقال تعالى: ﴿يَوْمَهُمْ بَدْرُؤٌ لَّا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمُ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: ١٦-١٧].

وإنَّ كلَّ من يجازون بالعذاب يوم القيامة إنَّما يُساقون إليه بعد أن يقرأوا كتب أعمالهم، وتوزن سيئاتهم، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا

كُنَّا نَمْتَسِيحُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ [الجاثية: ٢٩]، وسيعترفون على أنفسهم
بذنوبهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا
فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿ [غافر: ١١].

ولا يلقى أحد في النار حتى تقرّره الملائكة بأن الرسالة قد بلغت،
والحجة قد قامت عليه، قال تعالى عن جهنم: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا
أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا
وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنَّا أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿ [الملك: ٨-١٠].

وقد أخبر سبحانه أنه لا يمكن أن يعذب من لم تبلغه رسالات الرسل
وتقم عليه الحجة: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿ [الإسراء: ١٥]،
﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴿ [النساء: ١٦٥].

وهذا يبين أن من لم تبلغه رسالات الرسل فليس بمستحق للعذاب،
وكذا من بلغته بصورة مشوهة تمنع من قبولها.

فهؤلاء الطيبون الذين لم تبلغهم الرسالة الربانية، ولو بلغتهم لا تبعوها
ولم يمنعمهم كبر ولا جحود فإنهم بمعزل عن هذا العقاب الأليم.

وإنما يستحق العقوبة من عرف الحق فأعرض عنه، وبلغته النذارة
صريحة صريحة فكذب بها، واستكبر عنها.



ولن يدعي أحد يوم القيامة أنه ظلم، ولكن يتمنون الرجوع وتصحيح الخطأ؛ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿[الأنعام: ٢٧-٢٨].

وإن ربنا عز وجل قد حرّم الظلم بين عباده، وقبل ذلك حرّمه على نفسه فقال في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^(١). وقال عز وجل في كتابه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، والحسنات يضاعف ثوابها، وأما السيئات فلا يعاقب إلا بقدرها؛ ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْرَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فالحسنة يضاعف ثوابها عشر أمثالها، والسيئة بمثلها، فالهالك هو من كانت آحاد سيئاته أكثر من عشرات حسناته.

فلا يصح أن تذهب ظنوننا إلى التساؤل عن استحقاق المعذبين لعقوبتهم، فإن ربنا له الحجة البالغة، والعلم المحيط، وهو الحكيم العدل، ورحمته وسعت كل شيء، ورحمته سبقت غضبه، وهو أرحم بخلقه

(١) «صحيح مسلم» (٢٥٧٧).

وأعلم بهم، ولن تنال عقوبته إلا من تراكمت سيئاته وأحاطت به خطيئته؛ ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١].



نظرة المؤمن إلى الآخرة



يعيش المؤمن في هذه الحياة وبصره ممدود إلى الحياة الآخرة، وإلى مصيره بعد الموت، حيث حياة الخلود الأبدي، فهو يعلم أن هذه الحياة مهما طالت فهي قصيرة، ومهما كثرت فهي قليلة، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

إنّ متاع الحياة الدنيا زائل، وكل ما يملكه الإنسان في هذه الدنيا فهو ملك مؤقت، فإما أن ينتقل عنك، أو تنتقل أنت عنه.

ولتضح حقيقة الحياة الدنيا يقارنها الله بالحياة الخالدة المستقرة: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩].

وسوف تظهر الدنيا على حقيقتها، ويتضح لكل من عاشها حجمها الحقيقي، وذلك عند مغادرة الحياة وحلول الموت.



قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٩-١٠٠].

وعندما يُبعث الناس بعد الموت يتذكرون حياتهم الدنيا فيرونها شيئاً قليلاً قصيراً، قال تعالى يصف هذه الحال: ﴿قَلَّ كَمَ لَيْسَتْهُمُ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾ قَالُوا لَيْسَ لَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٣].

ووصف الله الحياة الدنيا وبين حقيقتها بالنسبة للآخرة فقال: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَتُهُمْ وَتَفَاخُرُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُودِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

والجزاء الحقيقي إنما هو في الآخرة وليس في الدنيا: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [القصص: ٦٠]، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٧].

وكثيرون هم النَّاس الذين يعيشون في هذه الدنيا وكأنها قرارهم وكلِّ أعمارهم، فهم في استغراق مع شؤون الحياة يشبه الإغماء، فهمهم وحديثهم عن قضايا الحياة، وكأنَّ الكلَّ مشدود بحبال وثيقة إلى شواغل الدنيا لا يعدوها أبداً إلى ما بعدها، ولا يرتقي منها إلى مصرِّفِ أمورها،



ومالكٍ زمامها، ولا حديثَ أبداً عن لقاء الله وهو حتمٌ، ولا عن عقابه وثوابه ولا بدَّ منهما، فلهؤلاء نصيبهم من قول الله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [النجم: ٢٩-٣٠] (١).

إن الحياة الدنيا مقدّمة وجيزة لكتابٍ طويل، وإن البشر الذين يحكمهم الزمن هنا سوف ينتقلون إلى حياةٍ أخرى ينعدم فيها الزمن، فهي خلود لا نهاية له، وعلى البشر أن يُعدوا أنفسهم لذلك البقاء السرمدي. ﴿قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧].

ولذا فإن السعيد هو من ينزل به الموت وقد استعد له، ويصل إلى الآخرة وقد عمل لها، وهؤلاء يكون مصيرهم في الآخرة التلقي بالبشرى، والاستقبال بالأمن يوم الفزع، ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]، إن هؤلاء الذين يتلقون في الآخرة هذه البشائر الكريمة هم الذين كانوا يعيشون في الدنيا وهم ينظرون إلى الغد، ويُقدّمون للحياة الأخرى قبل أن يصيروا إليها، فكانوا يعيشون في هذه الحياة الدنيا وكأنهم ينظرون إلى الآخرة على أنها يوم الغد، فيخافون شدة هذا اليوم وهو له،

(١) «المحاور الخمسة للقرآن الكريم»، محمّد الغزالي (٦٦).

ويقولون وهم في الدنيا: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ ﴿١٠﴾ فَوَقَّهْمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ [الإنسان: ١٠-١١]، ولذا يقولون في الآخرة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ فَمَنْبَسَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٣٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾ [الطور: ٢٦-٢٨]، فإذا دخلوا الجنة تذكروا هداية الله لهم، ووعد رسله إياهم، وما كانوا يعملون في دنياهم لأحراهم فقالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَوُودُوا أَنْ تُلَكُّمُ الْجَنَّةَ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ [الأعراف: ٤٣].

إن المؤمن يعيش في هذه الدنيا وهو ينظر إلى الآخرة، ويستعد لها، ويحاسب نفسه باستمرار ماذا قدم لهذا المصير، وماذا عمل لذلك اليوم؟ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

إن الإيمان بأن الحياة الأرضية ممر لا مقر، وأن لقاء الله لا بد منه، وأن الاستعداد لهذا اللقاء مطلوب؛ كل ذلك لا يعني الإعراض عن الدنيا، وترك التمتع بطبياتها، وتشبيدها وعمارتها، فليس هذا هدي القرآن الكريم ولا سنة النبي العظيم ﷺ، فاليد العليا خير من اليد السفلى، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف، وميزان القرآن الكريم: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].



ثانياً



← إسلامنا →

أسئلة الإسلام



جاء أعرابي من بادية الحجاز، حيث الأرض المنفسحة، تحفُّ بها الجبال الشاهقة، تتناول كأنما تحمل على أكتافها قبة السماء، انطلق من هناك تخبُّ به راحلته متوجِّهاً إلى المدينة، يقطع الطريق في نحو ثمانية أيام، ولم تكن له في المدينة تجارة يتربَّحها، ولا قريب يزوره، ولكن حاجته لُقيا ذاك الذي يقول: إنه رسول الله؛ يستثبت منه خبر النبوة، وحقيقة الرسالة، وليحسم قراره في الدين الذي سيدين الله به.

فلما وصل المدينة النبوية دخل المسجد وأقبل حتى وقف على الصحابة وهم جلوس مع رسول الله ﷺ، فلم يعرفه من بينهم، فلما دنا إليهم سألهم: أيكم ابن عبد المطلب؟ وكان رسول الله بينهم كأحدهم، ليس له شارة تميِّزه، ولا حال تُشهره، فلم يجدوا ما يدلونه به على رسول الله ﷺ إلا وضاءته وبهاؤه، فقالوا: هو ذاك الأبيض المتكئ. فتوجه إليه، ووقف بين يديه، وناداه كما ينادي غيره: يا ابن عبد المطلب. فقال ﷺ: قال ﷺ: قال ﷺ:



«قَدْ أَجَبْتُكَ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ». قال: محمد؟ قال: «نَعَمْ». ومع ما في هذا النداء من جفاء، إلا أنه أتبعه بنداء أشد منه قائلاً: «إني سأثلك، فمشدد عليك في المسألة، فلا تجذ عليّ في نفسك. فأجابه خير معلّم للناس الخير قائلاً: «لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، سَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ». فلم يكن في دينه ولا تعليمه مناطق محظورة، ولا زوايا معتمة، ولكنه الوضوح والنصاعة.

فسأل وكانت أسئلة تدل على صفاء العقل ومنهجية التفكير، فكان أول ما سأل أن قال: مَنْ خلق السماء؟ فأجابه رسول الله ﷺ: «الله». قال: فمَنْ خلق الأرض؟ قال: «الله». قال: فمَنْ نصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل؟ قال: «الله». قال: فإني أسألك بالذي خلق السماء، وخلق الأرض، ونصب هذه الجبال، وجعل فيها ما جعل، إلهك وإله مَنْ كان قبلك، وإله مَنْ هو كائن بعدك: الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: الله أمرك أن نعبده وحده، وأن نخلع هذه الأوثان التي كان آباؤنا يعبدون معه؟ قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: الله أمرك أن نصلّي هذه الصلوات الخمس في يومنا وليلتنا؟ قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا، فتقسمها على فقرائنا؟ فقال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ»، قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: الله أمرك أن نصوم شهر رمضان في سنتنا؟ قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ». قال: فإني أسألك بالذي أرسلك: الله أمرك أن نحج البيت من استطاع إليه سبيلاً؟ قال: «اللَّهُمَّ نَعَمْ».



قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر، وأما هذه الفواحش فو الله إن كنا لنتنزه عنها في الجاهلية، أي: أننا كنا نتجنب كثيراً من الفواحش المحرمة في الجاهلية، فنحن في الإسلام أكثر تنزهاً عنها.

ثم انصرف إلى بعيده، فحلَّ عقاله، وركبه راجعاً إلى قومه، فلم يكن له في المدينة حاجة بعد ذلك.

فلما ولى قال النبي ﷺ: «فَقَهَ الرَّجُلُ، إِنْ يَصْدُقُ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ»^(١).

وعجب فقهاء الصحابة من فقه هذا الأعرابي، حتى قال عمر: ما رأيت أحداً أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام.

إن هذا الرجل قد سمع بشرائع الإسلام واقتنع بها، وإنما جاء ليتعرّف على هذا الرسول ﷺ، فلما رآه رأى علائم الصدق على مُحيّاه وعلى حاله، ولذا كفاه أن يسأل النبي ﷺ سؤال المثبّت فازداد بليقيا النبي ﷺ وسؤاله إيماناً و يقيناً، فأعلن إسلامه بين يدي النبي ﷺ ثم رجع إلى دياره.

فلما وصل إلى قومه اجتمعوا إليه، فكان أول ما صنع أن حطّم عظمة أوثانهم الموهومة، فنادى قائلاً: بثست اللات والعزى. وهي أوثانهم

(١) «مسند أحمد» (٢٢٥٤)، و«صحيح البخاري» (٦٣). والعقيصتان: هما ضفائر الشعر.



التي كانوا يعبدون، فعجب قومه من هذه الجرأة على آلهتهم، فخوفوه ما كانوا يخافونه من ضرر الآلهة وغضبها، وقالوا: مَهْ يَا ضَمَامُ، اتَّقِ الْبَرَصَ، اتَّقِ الْجَذَامَ.

ولكن ضمماً اجتاز هذه العقيدة، وصحح تصوره واعتقاده، فقال لهم: ويلكم، إنهما والله ما تضران وما تنفعان، وإن الله قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم وأنهاكم عنه.

ولم يزل يحاورهم ويقنعهم، حتى ما أمسى من ذلك اليوم في حضرته من رجل أو امرأة إلا مسلماً، وسمع الصحابة بصنيعه ذلك، فقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما سمعنا من وافد قط كان أفضل من ضمام بن ثعلبة.

إن هذا المشهد يجيب على تساؤل كثيرين يريدون التعرف على الإسلام ليتضح لهم أن هذا الدين الذي اختاره الله للبشرية عامة واضح فليس فيه غموض، وبسيط فليس فيه تعقيد، وسهل فليس فيه عسر؛ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ [البقرة: ١٨٥].

وأن الدخول في الإسلام لا يعني حدوث زلزال في حياتك، ولا ارتباك في علاقاتك، ولا اضطراب في أمورك، ولكنه جمع لشتات الحياة، وتوحيد للقصد، واستقامة في السير والاتجاه.



فيتوجه القصد بالعبادة لله وحده لا شريك له، ويعيش المسلم حياته مستشعراً قرب الله منه، وإطلاعه عليه، وعلمه بسرّه وعلايته.

فتتحول وحشة الحياة إلى أنس، وحيرتها إلى هداية، ويعيش المسلم حياته وكأنه يرى الله حيثما توجه، كما قال ﷺ: «الإِحْسَانُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١).

وأما أحكام الإسلام وشرائعه فهي مؤتلفة مع طبيعة الإنسان وتكوينه، فإن الذي خلق هذا الإنسان هو الذي شرع له هذا الدين بما يلائمه وتستجيب له فطرته؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]. ولذا فليس فيها عسر ولا تكليف بما لا يطاق؛ ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وليس فيها حرمان من الاحتياجات الفطرية، أو التمتع بطيبات الحياة، ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وفي هذه السطور تعريف بمسار الحياة مع الإسلام بوضوحه وبساطته. وبيان لتصور المسلم واعتقاده وعبادته وسلوكه.

وذلك لتكون إضاءات لمن توجهوا إلى الإسلام وتشوقوا لمعرفة طريق الحياة مع هذا الدين، ليروا كيف تكون الحياة مع الله آمنة هانئة، طيبة في الدنيا ومنعمة في الآخرة.

(١) «صحيح البخاري» (٥٠)، و«صحيح مسلم» (٨).

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].



نعمة الهداية



أخي وأختي، هل تعلم كم كان فضل الله عليك عظيماً حينما توجهت إلى الهداية فشرح الله صدرك للإسلام واختارك لتكون مسلماً في حين أن هناك مليارات من البشر يعيشون على هذه الأرض، وما زالوا تائهين عن هذه الحقيقة أو غافلين عنها؟!

وأنك بإسلامك التحقت بركب الهداة والصالحين، وهذا ركب إمامه الأول أبونا آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ** ويستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وفي هذا الركب عظماء البشرية كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد **عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ**، وأتباع الأنبياء من الصديقين والشهداء والصالحين فهنئاً لك.

إن هذا يجعلنا نستشعر عظيم هذه النعمة من الله علينا؛ فهو الذي جعل دينه واضحاً بلا غموض، ويسيراً بلا عسر، ودلّنا عليه، وأقبل بقلوبنا إليه. وهذا اعترافٌ بفضل الله علينا، حيث اختارنا لتكون مسلمين، فالهداية



ليست بالذكاء، ولا بالعلم، ولكن قبل ذلك هي هداية الله وتوفيقه، وإلا فكم من الأذكياء والعباقرة الذين استمروا تائهين شاردين عن الله، لم يتبعوا دينه، ولم يهتدوا بهداه.

وهذه الهداية يهبها الله ويزكيها في قلوب من يُخْلِص في طلبها، وَيَصْدُق في اتباعها، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

وإنما تُصرف الهداية عمّن أعرض عنها واستكبر عن اتباعها، كما قال تعالى عن القرآن: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وعندما أقبلت بقلبك على الاسلام، مشرّحاً له صدرك، فتح الله لك باب الهداية إلى دينه، فأنت تسير في طريق ينتهي بك إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وعلى موعد فيها مع النبيين والصدّيقين وعباد الله الصالحين. ولذا نستشعر نعمة الهداية، ويَعْظُم في نفوسنا الامتان الكبير لله بها.

ويقول أهل الجنة وهم يتنعمون فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿لَيْتَن لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]،



وكان النبي ﷺ وأصحابه يرددون: «اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا، وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلِّينَا»^(١).

وإذا اختارك الله للهداية إلى دينه، فأنت تسير في طريق ينتهي بك إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وعلى موعد فيها مع النبيين والصديقين وعباد الله الصالحين.

ولأهمية الهداية؛ أرشدنا الله إلى الإكثار من سؤاله إياها: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، يُكررها المسلم في صلاته لله في كل يوم (١٧) مرة على الأقل.

فهل يعلم المسلم أي نعيم هو فيه حين اهتدى إلى طريق الله وتوجه إليه؟ وهل يتذكر عِظَم فضل الله عليه، عندما اختاره ليكون مسلماً؟ فيحمد الله على ذلك، ويسأله المزيد من فضله، والثبات على دينه، فكم في هذه الأرض من البشر يعيشون في حيرة، أو يسرون على غير هدى، لم يجدوا لذة الإيمان، ولا يقين الهداية، فهم في متاهة الحيرة، أو غيبوبة الشهوة، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

(١) «صحيح البخاري» (٢٨٣٧).



الثبات على الإيمان



لاحظت عائشة أن رسول الله ﷺ كان يكثر أن يقول: «يا مُقَلَّبِ الْقُلُوبِ، ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ». فعجبت من ذلك، وسألته: يا رسول الله، إنك تكثر أن تقول: يا مقلَّبِ القلوب ثبَّتْ قلبي على دينك؟. فقال لها ﷺ: «وَمَا يُؤْمِنِي يَا عَائِشَةُ، وَقُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعِ الرَّحْمَنِ عَزَّوَجَلَّ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ لَهُ قَلْبُهُ»^(١). إن الرسول الذي تنزل عليه الهدى يسأل الله الثبات ويكثر من ذلك حتى يدلَّ أمته أن على كل مؤمن يسأل الله الهداية أن يسأله الثبات عليها، لأن القلب كثير التقلُّب، وعرضة للمؤثرات، فما لم يحفظ الله له استقراره أو شك أن ينقلب أو يتكس. وقد لاحظ الصحابة أن النبي ﷺ إذا أراد أن يقسم قال: «لَا وَمُقَلَّبِ الْقُلُوبِ»^(٢). حتى كانت أكثر أيمانه بها تنبيهاً لهذا الأمر ورعايةً له.

(١) «مسند أحمد» (٢٦١٣٣)، و«سنن الترمذي» (٣٥٢٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٦١٧).



إن الإنسان كما يسأل الله أن يحفظ عليه صحته وماله وأمانه، فإنه يسأله ما هو أهم وأعلى وهو حفظ دينه وهدايته.

والإنسان في هذه الحياة عرضة لمؤثرات كثيرة من الشهوات والمغريات والشبهات والآراء والأفكار المتزاحمة والتي تعرض بأنواع التزييف الخادع، ولذا يلح المؤمن على ربه أن ينير بصيرته ويحفظ عليه دينه، وأن يثبت قلبه على الدين والهدى، حتى لا ينزلق إلى غواية ولا ينخدع بشبهة.

وقد ذكر الله دعاء الراسخين في العلم بالله: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].



عالمية الإسلام



الإسلام لا قومية له، فهو ليس إسلام جنسٍ أو بلدٍ أو لونٍ، ولكنه إسلام العالمين كُلِّهم **عَزَّوَجَلَّ**، وليس فيه تمييز بين الأجناس والقوميات، فشجرة البشرية تلتقي أغصانها عند جذعٍ واحدٍ هو أبو البشرية آدم **عَلَيْهِ السَّلَامُ**. ولذا جاء النداء في القرآن لبني آدم: **يَبْنَئِ أَدَمَ**، وللناس كافة: **يَأَيُّهَا النَّاسُ**، وأخبر الله نبيه أن رسالته عالمية موجهة للناس كلهم فقال: **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** [سبأ: ٢٨].

وقد تفرّعت هذه الشجرة إلى قوميات وأجناس للتعارف؛ لا للتمايز والتفاخر كما قال الله تعالى: **يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا** إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات: ١٣].

وكان من عجيب دعوة النبي محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** إلى الإسلام أن آمنَ بها في أول الدعوة مجموعة من السابقين إلى الإسلام من قومياتٍ متنوعة،



فكان في أصحاب رسول الله خديجة وأبو بكر وعلي من العرب، وبلال وأم أيمن الإفريقيّان الحبشيان، وسلمانُ وسالم الفارسيان، وصهيب الرومي، وعبد الله بن سلام الإسرائيلي وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وقد قضى الإسلام على كل أنواع العنصرية القومية؛ فأعلن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع إلغاء التمايز العنصري بين البشر فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»^(١).

وقد دخلت أُمَّ شتى في الإسلام من غير أن تفقد انتماءها القوميّ أو تتخلى عنه، وإنما استوعبتهم بوابة الإسلام الواسعة جميعاً، واستوعبت إنجازاتهم.

وبقيت الأمة الإسلامية مدينةً لعلماء الإسلام الذين كانوا من قوميات متنوعة، كالعرب، والفرس، والترك، والبربر، والروم، والزنج وغيرهم.

ولذا فلا يلزم أحداً إذا أسلم أن يتخلى عن قوميّته: في لباسه أو لغته أو اسمه أو وطنه، فالإسلام قد استوعب البشرية بكل أطيافها القومية وأعراقها وأجناسها.

(١) «مسند أحمد» (٢٣٤٨٩).



وهوية هذا الدين هي التوجه لله، وليس التوجه إلى جنس أو قومية، فالخلق كلهم خلقه جميعاً، وهو **جَلَّ وَعَلَا** ربهم ومعبودهم جميعاً، ولذا جعل الأفضلية بينهم بتقوى الله: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وجمعهم على تنوعهم في صف واحد في الصلاة، وفي لباس واحد، وهيئة واحدة في الحج، وحذر من تَنَقُّص أحد بلونه أو قوميته، فقال **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لمن عير رجلاً بلون أمه: «أَعْيَرْتَهُ بِأُمَّهِ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»^(١) أي خصلة من خصال الجاهلية.



(١) «صحيح البخاري» (٣٠)، و«صحيح مسلم» (١٦٦١).



إسلامك وعلاقاتك



ربما تدخل في الإسلام ويبقى والداك على دين آخر، وهذا لا يعني انفصالك عن أسرتك اجتماعياً، وإن كنت انفصلت عنهم دينياً، ولذا فلا بد مع اعتناقك للإسلام أن يتضاعف برك وإحسانك إلى والديك وإن كانا متمسكين بدينهما، وكارهين لدينك، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴿١٥﴾﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

والبر بالوالدين طاعة لله وقربة عظيمة إليه سواءً أكانا مسلمين أم غير مسلمين. وكذا الزوجة والأولاد والأقارب ينبغي التواصل معهم بودٍّ ورحمة وإحسان، فقد قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(١).

(١) سنن ابن ماجه (١٩٧٧)، و«سنن الترمذي» (٣٨٩٥).

وكذا في علاقتك مع زملائك أو أصدقائك فالعلاقة الإنسانية واسعة، وحسن الخلق يسع الناس كلهم، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِقِ النَّاسِ بِخُلُقِ حَسَنِ»^(١)، والناس كلمة عامة تشمل المسلمين وغيرهم، فحسن الخلق شعار المسلم في التعامل مع الناس جميعاً، وفي حسن هذه العلاقة واستمرارها تعريفٌ بدينك ودعوة إليه.

وربما قابل بعض المسلمين عند إسلامه مواجهة من أسرته أو مجتمعه، وقد يتعرض للمضايقة والإيذاء النفسي، فعليه حينئذ أن يقابل ذلك بثبات وصبر وحسن تعامل، وأن يعلم أن هذا اختبار إلهي لصبره وثباته وقناعته بدينه، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿لَتَسْبُلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيْرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وحكى الله عن أتباع الأنبياء قولهم عندما آذاهم قومهم: ﴿وَلَتَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [ابراهيم: ١٢]، وقال تعالى لنبية صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧-١٢٨].

(١) «مسند أحمد» (٢٢٠٥٩).



إسلامك مسؤولية



عندما يَعلم الناس بإسلامك؛ فإنهم سيقرأون كل تصرفاتك على أنها الإسلام، فاحذر أن تكون أنت دعايةً سيئةً للإسلام بسلوك غير حميد، واستشعر المسؤولية في تمثيل الإسلام بالتزامك بأخلاق الإسلام التي هي عبادات لله:

- فالصدق في الحديث عبادة.
- وأداء الأمانة عبادة.
- والإخلاص في العمل عبادة.
- وحسن الخلق في التعامل مع الناس عبادة.
- فينبغي أن يلاحظ الناس من حَوْلِكَ أن دينك قد نقلك إلى الأفضل.



التعريف بالإسلام



وحين أكرمك الله بالهداية للإسلام، استشعر المسؤولية عن دينك، وأنت مبعوث بما بُعث به نبيك محمد ﷺ، وكما بلغ رسولنا الدين إلينا فإن كل جيل من المسلمين يتحمل مسؤولية تبليغ هذا الدين ونشره في العالم ونقله للأجيال القادمة.

ولولا اتباع هذا الطريق بتبليغ الإسلام؛ لَمَا وصل هذا الدين إليّ وإليك، وقد أعلم النبي ﷺ أصحابه أنهم مبعوثون بما بُعث به في هذا الكون الواسع إلى كل الناس وإلى الأجيال المتعاقبة؛ فقال لأصحابه: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»^(١)؛ فأَسَدَ البعثة إليهم؛ لأنهم سيبلغون البشرية ما بلغه رسول الله إليهم من الهدى والنور، وسيقومون بمهمته ﷺ في الدعوة إلى الإسلام.

(١) «صحيح البخاري» (٢٢٠).



وإنَّ من أعظم الإحسان إلى الخلق: دلالتهم إلى الطريق المستقيم، وهدايتهم إلى الإسلام، وهي مهمة الرسل وأتباعهم، وقد قال رسول الله ﷺ: «وَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(١). أي: أجود وأجمل الإبل، وكانت أنفس المال وأغلاه في زمنهم، وهذا تصوير لعظيم الأجر في ذلك.

وقد تكون للإنسان قبل إسلامه حالة حيرة ومعاناة فكرية، ولإسلامه قصة مُلهمة، وتكون حكايتها سبباً للدعوة والهداية، ومقارنة الحال قبل الهداية بما بعدها، كما قال جعفر بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنَّجاشي ملك الحبشة يصف حالهم قبل الإسلام وبعده: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصيام، فعدد عليه أمور الإسلام، ثم قال: فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا^(٢).

(١) «صحيح البخاري» (٢٩٤٢).

(٢) ينظر: «مسند أحمد» (١٧٤٠).



فكان في مقارنة حالهم قبل الإسلام بحالهم بعده ما يبين أثر الإسلام في إزالة الحيرة واستقامة السلوك، ووضوح الرؤية، واستقرار الحياة.

وعلى كل منا أن يقوم بهذا الدور، وهو التعريف بدين الإسلام وتوضيح حقائقه في الدوائر المحيطة به، وأولها أسرته وأصدقائه ومجتمعه القريب ثم مجتمعه الواسع بحسب قدرته وإمكاناته، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].



الرجل والمرأة



أخي وأختي؛ لقد كان من حكمة الله العظيمة أن خلق الزوجين الذكر والأنثى؛ ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥]، وجعل العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة تكامل تتحقق بها عمارة الكون، وتتابع أجيال البشرية، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفُولُوا بِكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء: ١].

وبين أن العلاقة بين الرجل والمرأة قائمة على المودة والرحمة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وبين ربنا في كتابه أن الثواب وحسن الجزاء هو للرجال والنساء سواء بسواء: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وأن الفضائل والأعمال



الصالحة مطلوبة من الرجال والنساء، وموجودة في الرجال والنساء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ وَالْحَافِظِينَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأثنى الله على امرأتين كريمتين وذكرهما لتكونا مثلاً وقدوة لكل المؤمنين رجالاً ونساءً، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحریم: ١١-١٢].

وفي القرآن سورة طويلة هي سورة النساء، وسورة باسم مريم **عَلَيْهَا السَّلَامُ**.



الدين يسر



قد يَحْدُثُ عند بعض المسلمين الجدد قوة اندفاع في العبادة، ورغبة في التعويض عما فاته من الطاعات، فيأخذ بمحاولة حَرْق المراحل واختصارها؛ مما يُفْضِي به إلى التشدد وإجهاد النفس بما لا تطيق الاستمرار عليه.

وحينئذٍ، ينبغي أن نعلم أن هذا الدين يُسَّرُ، وأن الله رفيقٌ يحب الرفق في الأمر كله، وقد نهانا نبينا ﷺ أن نتكلف من العبادات ما لا نُطِيق، فقال: «اَكْلُفُوا - أي: اعملوا - مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»^(١). ولَمَّا سئل رسول الله ﷺ أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»^(٢).

(١) «صحيح البخاري» (١١٥١)، و«صحيح مسلم» (٧٨٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٦٤)، و«صحيح مسلم» (٧٨٣).



وأن نعلم أن الله قد رفع عنا الحرج؛ فلا عُسر في هذا الدين، ولا حرج، بل جاء هذا الدين ليرفع الحرج عن البشرية، قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وأن الله يريد بنا اليسر كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقد أرشدنا رسول الله ﷺ إلى التوازن في أداء الحقوق، فقال: «إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»^(١).

ولهذا فإن من المهم مراعاة التوازن، والقدرة على الاستمرار في أداء العبادات، ومعرفة يسر هذا الدين وسماحته.



(١) «سنن الترمذي» (٢٤١٣).



المحافظة على نجاحاتك



ومن التوازن في حياتك بعد الإسلام أن تُحافظ على نجاحك في أعمالك الدنيوية؛ إذا كانت مباحة، وأن تكون أكثر إصراراً على التميز؛ لأن ذلك سيجعل منك شخصاً ناجحاً في المجتمع، وجاذباً للآخرين. فإن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. وحتى لا يظن الآخرون أن دخولك في الإسلام كان سبباً في تحويلك إلى شخص فاشل في الحياة، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، اِحْرَاصٌ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ»^(١).

ومن ذلك استمرارك في عملك ودراستك وتفوقك فيها، ومواصلة التعلم واكتساب المهارات، فكل ذلك قوة وتميز.

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٦٤).

كما أن إسلامك لا يعني ترك هواياتك التي تجد فيها متعتك، أو نشاطاتك التي تجد فيها سعادتك إذا لم يكن فيها ما هو محرم، فالدين تفاعل مع الحياة وليس قطيعة معها.

ولذا كان للصحابة مع النبي ﷺ هواياتهم ولهوهم ومتعهم، ومن ذلك أن رسول الله ﷺ كان يقاسم زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بهجة العيد في بيتها، ويعيش معها فرحته، إذ سمع جلبة وأهازيج، فإذا هم الأحباش قد دخلوا ساحة المسجد، ومعهم حرابهم ودرّقهم -وهي تروس من جلد- وجعلوا يرقصون في المسجد على طريقتهم، ويهزجون بلغتهم، وكان مشهدهم طريفاً ومُبهِجاً، فأقبل النبي ﷺ على زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وناداهما: «يَا حُمَيْرَاءُ، أَتُحِبِّينَ أَنْ تَنْظُرِي إِلَيْهِمْ؟». قالت: نعم، وددت أني أراهم. فوقف لها رسول الله ﷺ على باب حجرته، وجاءت هي من ورائه، فوضعت ذقنها على كتفه، وألصقت خدها بخده، وألقى عليها رداءه يسترها به، وهي تنظر إلى لعب الحبشة، والنبي ينظر معها إليهم. ويغريهم بمزيد الحماس في استعراضهم ذلك قائلاً: «دُونَكُمْ بَنِي أَرْفَدَةَ». (وهو لقب الحبشة)، وازداد حماسهم بهذه المشاركة الشعورية من النبي ﷺ، وهم يرقصون بين يديه، ولم يسعفهم في التعبير إلا لغتهم، فجعلوا يتكلمون بكلامهم الذي لا يفهمه، فقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا يَقُولُونَ؟». قيل: يقولون: محمد عبد صالح. قالت عائشة: لم أعلم من كلامهم إلا قولهم: أبا القاسم طيباً أبا القاسم طيباً.



وبينما هم كذلك، إذ دخل عمر المسجد، فرأى مشهداً لم يعهده، فأهوى بيده إلى حصاء المسجد يرميهم بها، مُسْتَكْرِراً فعلهم ذلك في ساحة مسجد رسول الله ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: «دَعُهُمْ يَا عُمَرُ، فَإِنَّهُمْ بَنُو أَرْفَدَةَ». أي: أن هذا شأنهم وطريقتهم. ثم أقبل عليهم قائلاً: «أَمْنَا بَنِي أَرْفَدَةَ». أي: العبوا بأمان، وذلك حتى يُهدئ من رَوْعِهِم بعد أن أفرعهم عمر. ثم جعل يستشيرهم قائلاً: «الْعَبُوا بَنِي أَرْفَدَةَ، حَتَّى تَعْلَمَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى أَنَّ فِي دِينِنَا فُسْحَةً، إِنِّي بُعِثْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمْحَةٍ»^(١).



(١) «مسند أحمد» (١٢٥٤٠ - ٢٤٨٥٥)، و«صحيح البخاري» (٢٩٠٧).



حُسن الخلق



جاء جرير البجلي إلى النبي ﷺ في السنة السابعة من الهجرة، أي: بعد عشرين سنة من بعثة النبي ﷺ فغمره حسن خلقه، فكان يتحدث عن ذلك، ويقول: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنْذُ أَسَلَمْتُ، وَلَا لَقِينِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي^(١). فانظر كيف شعر جرير بإشراق ابتسامة النبي ﷺ له، وكأنها شيء يخصه به، وابتسامة يدخرها له، وذلك لما يرى في ابتسامة النبي ﷺ له من الإشراق والبهجة والحيوية، مع أن هذه صفة عامة يلقي بها النبي ﷺ كل أحد، حتى قال عبد الله بن الحارث بن جزء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ^(٢). ولكن حيوية تبسمه تجعله يشعر كل أحد بخصوصيته وأهميته حتى كأن هذه الابتسامة له خاصة.

(١) «صحيح البخاري» (٣٠٣٥)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٥).

(٢) «مسند أحمد» (١٧٧٠٤، ١٧٧١٣)، و«جامع الترمذي» (٣٦٤١).



وإذا كان هذا تعامله مع مسلم لم يلحق بالركب إلا متأخراً فكيف
بتعامله مع السابقين من أصحابه وكيف حفاوته بهم؟!
إن هذا أحد جوانب العظمة الأخلاقية للنبي ﷺ والتي أكرمها الله
بها، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: ٤].

وكما كان ﷺ عظيم الخلق فقد كان يحثُّ على حسن الخلق
ويعظَّم شأنه، ويبين أنه من أشرف خصال المسلم، فقال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ
إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»^(١). وقال: «مَا شَيْءٌ
أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

والفرق بين أخلاقيات التعامل عند المسلم وغيره أن المسلم حين يطبِّق
حسن الخلق مع كل من يعاملهم لا يفعل ذلك كَفَنٌ من فنون العلاقات
العامة، ولكنه يفعل ذلك عبادة يتعبد بها لله، ولا ينتظر جزاءها ممن
يعاملهم، ولا ينتظر مكافأتهم له بالمثل، ولكن ينتظر الأجر من الله وحده،
قال ﷺ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(٣).

فأخلاق التعامل الحسنة عبادات لله أولاً، ولذا قال ﷺ: «تَبَسُّمُكَ
فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَبِعَيْنِ الرَّجُلِ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ
عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ»^(٤).

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٣٥).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٠٠٢).

(٣) «مسند أحمد» (٩٦٩٤)، و«الأدب المفرد» (٢٨٩)، و«سنن الترمذي» (٢٠٠٤).

(٤) «سنن الترمذي» (١٩٥٦).



وجاء القرآن يحث على إخفاء الإحسان إلى الناس حفاظاً على مشاعرهم فقال: ﴿إِنْ تُبَدُّوْا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۗ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧١].

كما أن أولى الناس بحسن الخلق وطيب التعامل هم أقارب الإنسان ومن هم حوله كجيرانه وزملاء عمله، ولذا جاء الأمر ببر الوالدين، والإحسان إليهما، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۗ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»^(١). وقال: «مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ، حَتَّى اللَّقْمَةَ تَرْفَعَهَا إِلَىٰ فِيٍّ امْرَأَتِكَ»^(٢).

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المرأة التي أطعمت ابنتها بتمرات معها، وأثرتهما بها على نفسها: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَهَا بِرَحْمَةٍ ابْتِنَيْهَا الْجَنَّةَ»^(٣).

وجاء الأمر من الله بالإحسان إلى الجيران، فقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦]، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُحْسِنْ إِلَىٰ جَارِهِ»^(٤).

(١) «سنن ابن ماجه» (١٩٧٧)، و«سنن الترمذي» (٣٨٩٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٧٤٢)، و«سنن الترمذي» (٢١١٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٦٣٠).

(٤) «صحيح مسلم» (٤٧).



وهذا التعامل بالخلق الحسن يبذله المسلم لكل من يعاملهم، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَن دَرَيْكُمْ أَن تَبَرُّهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨]، فكل من كفّ عدوانه فهو مستحق للإحسان والبر والتعامل الكريم الحسن.



مَنْ يَمَثِّلُ الْإِسْلَامَ؟



سوف ترى في ساحة المسلمين فرقاَ كثيرة، كلٌ منها يدّعي أنه هو الذي يقدم الإسلام الصحيح، لكن، المعيار في معرفة حقيقة الإسلام أمران مهمان، هما:

١- أفراد الله وتوحيده بالعبادة، فصرف أي نوع من العبادة لغير الله انحرافٌ عن عبادة الله إلى عبادة غيره، سواء كان من يُتَوَجَّهُ إليه من الأولياء أو الأنبياء أو أقارب الرسول أو الرسول ﷺ نفسه، وذلك أن الرسول هو الذي قال: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ»^(١).

وكلٌ ما يُمكن أن تراه في كثير من بلاد المسلمين من قبور ومزارات، يتوجه بعض الناس إليها بالدعاء، أو بشيء من العبادة؛ فهي أمور غير شرعية، بل قد نهى عنها الأنبياء كلهم، فكل الأنبياء جاؤوا ليوَجِّهوا البشرية

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٤٥).



إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فلا يَصِحُّ أَنْ يُدْعَى أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، ولا يعبد إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

٢- وأن العبادات كلها مستمدة مما شرعه الله لنا بدلالة رسوله ﷺ؛ فكل عبادة لم يدلنا عليها الرسول، فليست عبادةً مشروعة، وإنما يُعبد الله بما دلت عليه رسله الكرام.

فليس لأحدٍ من الناس أن يستحسن من عنده عبادةً يُضيفها إلى الدين، ولذا بقيت العبادات التي نتعبد لله بها ثابتة كما هي، فعباداتنا اليوم هي ذاتها العبادات التي كان النبي وأصحابه يتعبدون الله بها.

فلا عبادة إلا لله وحده، ولا عبادة لله إلا بما شرعه رسوله ﷺ.

ولذلك فإن المهم هو نقاء التدين من شوائب الإضافات المبتدعة، وتطبيق الدين كما بلغه رسول الله ﷺ، وإذا رأيت من ينتفع قلبك بصحبتهم وتزداد بهم إيماناً وعلماً وإحساناً إلى الناس فالزمهم وتعاون معهم، وإن وجدت صحبتهم لا تزيدك إيماناً، ولا تزيدك حباً لإخوانك المسلمين، ولا إحساناً إلى الناس فابحث عن غيرهم فإنهم ليسوا على هدي الأنبياء.

وعلينا التأكيد على وحدة المسلمين، والحذر من الانشغال بما يفرق الاجتماع، ويُحدث الشقاق، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا



وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً
 وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا
 الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا
 مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣].



دين المسلمين وواقعهم



إن المسلمين وإن كانوا كثرةً قاربت المليارين، إلا إنهم متفاوتون في التزامهم بالإسلام الذي ينتسبون إليه، ومتفاوتون في تطبيقه، ولذا فقد يُصاب الناظر لأحوالهم بصدمة؛ لما يرى من ابتعاد بعضهم عن حقيقة تعاليم الدين، ويرى لديهم بعض السلوكيات الخاطئة التي يمارسونها، ويرى تخلف كثير من بلدانهم.

فينبغي أن يُنسب هذا التقصير والخطأ للمخطف ولا ينسب للدين بحال. إن المقياس في معرفة حقيقة هذا الدين هو التعرف عليه من مصدره الحقيقي، وهو كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ**، وحديث نبيه **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** الصحيح الثابت عنه. وأما أعمال الناس وسلوكياتهم فعملٌ بشريٌّ هو عرضةٌ للجهل والخطأ والتقصير.



ثالثاً



← عبادتنا →

عبادتنا حياتنا



أنزل الله دين الإسلام ليكون دين الحياة، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فما يدعو إليه رسول الله ﷺ حياة وإحياء.

إنّ الدين ليس مفردةً من برنامج الحياة، ولكنه يحتوي الحياة كلّها، ويتفاعل مع كل مناسطها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ومساحة الحياة الواسعة تعاملٌ مع الله كما قال ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تَنْفَقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ»^(١).
ووسّع ﷺ آفاق العمل الصالح فقال: «عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ»^(٢).

(١) «صحيح البخاري» (٥٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٨٩١)، و«صحيح مسلم» (١٠٠٩).



ولذا ينبغي أن تكون أعمارنا عامرة بعمل الصالحات، وعمل الصالحات منهج حياة تعامل به كل أحد وكل شيء، فأنت تعمل الصالح في حياتك كلها مع البشر ومع الحيوان ومع البيئة، وتتجنب الفساد والإفساد، ومن عمل الصالحات عملك الذي تكسب منه قوتك وتنفق منه على أسرتك، وإتقان عملك والإخلاص في تعاملك.

ومن عمل الصالحات تربية الأبناء والإحسان إليهم، وحسن علاقتك مع من تخالطهم، والإحسان لكل أحد ومحبة الخير لكل أحد، وأن تفعل مع الناس ما تحب أن يفعلوه معك، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»^(١). وعمل الصالحات هو معاملة مع الله عز وجل، والمعاملة مع الرب الكريم معاملة رابحة لا يمكن أن تضيع أو تخسر، ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۗ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّنْ فَضْلِهِ ۗ﴾ [النساء: ١٧٣].

(١) «صحيح البخاري» (١٣)، و«صحيح مسلم» (٤٥).



وجزاء الله لمن عمل الصالحات في الدنيا هو الجزاء الكريم الأوفى في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٢]، وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

وسوف يتمنى كل من حضره الموت أن يرجع إلى الحياة، لا ليكسب مالاً أو يتلذذ بمتعة، ولكن ليستدرك عملاً صالحاً فرط فيه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وبدخول الإنسان الإسلام عليه أن يجتهد في الترقى إلى الكمال في أحواله وسلوكه وعبادته؛ حتى تكون كل مرحلة في حياته أحسن مما قبلها. فهو في كل مرحلة يقطعها من عمره يزداد علماً ويزداد خيراً، وأعظم ما يحفزنا إلى الترقى والتزود بالأعمال الصالحة استشعار نفاذ العمر، وسرعة الانتقال إلى الدار الآخرة، ولذا أمرنا بالتفكر في هذا المصير والاستعداد له: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ



مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي
إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ [المنافقون: ١٠].



فضل الصلاة



سأل النبي ﷺ أصحابه فقال لهم: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، مَا تَقُولُونَ؟ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ؟». قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «ذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الْخَطَايَا»^(١). أي طهر ونقاء يخرج به الإنسان من صلاته وهي تغسله من خطاياها كما يغسله نهر غمرٍ جارٍ قريب، إنها صورة أخاذا تبيّن أثر الصلاة في نقاء النفوس وتطهيرها.

إن الصلاة هي الصلة بين المسلم وبين ربه، وهي ساعات القرب من الله عز وجل كما قال ﷺ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»^(٢). وهي نور في القلب، ونور في الحياة، ونور في الآخرة، قال ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ»^(٣).

(١) «مسند أحمد» (١٩٢٤).

(٢) «صحيح مسلم» (٤٨٢).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٢٣).



ولشدة حاجة العباد إليها فرضها الله خمس صلوات في اليوم والليلة، فقال: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقال: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]، وذلك حتى تتجدد صلوتهم بربهم، ويطهروا بها من خطاياهم، ويسألوا الله ويدعوه في حال توجهٍ إليه وقربٍ منه.

وبقدر محافظة المرء على صلواته يحفظ دينه، فالصلاة عمود الإسلام، ولعظيم قدرها فإنها: «أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا هَلْ لِعِبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»^(١).

والحياة مع الصلاة رحبة مأنوسة مباركة، وبدون الصلاة ضيقة كئيبة موحشة، ولذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(٢).

وهل أدل على أهمية الصلاة من أنها آخر وصايا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حياته؟! فقد كانت آخر وصاياهم وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أن قال: «الصَّلَاةُ، الصَّلَاةُ»^(٣). أي: أوصيكم بالصلاة، فهل أشد شدة من سكرات الموت؟! ومع ذلك لم تُذهله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أن يتعاهد أمته بالصلاة، فتكون آخر وصاياهم إليهم.

(١) «سنن الترمذي» (٢٠٠٢)، و«سنن النسائي» (٤٦٥).

(٢) «مسند أحمد» (١٢٢٩٣)، و«سنن النسائي» (٣٩٣٩).

(٣) «مسند أحمد» (١٢١٦٩)، و«سنن ابن ماجه» (١٦٢٥).



سكينة الصلاة



الصلاة ميعاد مع الله، ولقاء متجدد بين المصلي وربّه، ومحطّة ارتواء إيماني، وإحياء روحي، راحةً وسكينة، وظلٌّ باردٌ في حرارة الحياة وإجهادها، وبقدر عمقها في حياة الإنسان يكون أثرها في حياته.

وموعد الصلاة هو موعد تلقّي هبات الله وعطاياه لعبده، فإذا توجّساً تناثرت خطاياهم مع قطر الماء عن أعضائه، وتلقّى الشهادة النبوية له بالإيمان، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ»^(١). وقال: «لَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(٢). فإذا توجّه إلى المسجد فهو في ضيافة الله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ نُزُلَهُ» - أي: ضيافته - مِنْ الْجَنَّةِ كُلَّمَا عَدَا أَوْ رَاحَ»^(٣). فهو يسير كما يسير الضيف إلى بيت من دعاه، وفي طريقه

(١) «صحيح مسلم» (٨١٠).

(٢) «مسند أحمد» (٢٢٣٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧٧).

(٣) «صحيح البخاري» (٦٦٢)، و«صحيح مسلم» (٦٦٩).



تُكْتَبُ خَطْوَاتُهُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَسَىٰ إِلَىٰ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ كَانَتْ خَطْوَاتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالْأُخْرَىٰ تَرْفَعُ دَرَجَةً»^(١). فَإِنْ كَانَتِ الصَّلَاةُ صَلَاةَ لَيْلٍ -عِشَاءٍ أَوْ فَجْرٍ- كُتِبَتْ لَهُ الْبَشْرَىٰ بِالنُّورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَشْرُ الْمَشَائِئِ فِي الظُّلْمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ النَّامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٢). فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَصَلِّيَ عَلَيْهِ وَتَدْعُو لَهُ، وَيُكْتَبُ لَهُ أَجْرُ الصَّلَاةِ مَا دَامَ يَنْتَظِرُهَا، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ»^(٣).

فهذه هبات الله وأنت في الطريق إليه، فكيف بعطاياه إذا وقفت بين يديه!
أما الصلاة فهي قرب من الله، ومناجاة الله، وصلوة بالله، ومن حافظ عليها استشعر قرب الله منه، ومراقبته له، فاستقام سلوكه، وتباعد عن كل ذنب وخطيئة تُغضب ربّه الذي يجدد العهد معه في كل صلاة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) «صحيح مسلم» (٦٦٦).

(٢) «سنن أبي داود» (٥٦١)، و«سنن الترمذي» (٢٢٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٦٥٩)، و«صحيح مسلم» (٢٧٣).



فإذا وفقك الله لأداء الصلاة فاستشعر هذه النعمة، واملاً قلبك فرحاً بالله الذي أقامك بين يديه وقربك إليه، واعلم أنه ما أقبل بك إلا ليقبلك، وما دعاك إلا ليعطيك، وما وضعت له وجهك إلا ليرفعك.

تذوق لذة خطابه **عَزَّجَلَّ** وأنت تقرأ في صلاتك، واملاً قلبك بمشاعر التعظيم له وأنت تسبِّحه، وبحسن الظنِّ بفضله وكرمه وأنت تدعوه وتسأله. وثق أنك لا يمكن أن تُقبل إليه فيردِّك أو يصدِّك، ولا أن تسأله فيحرمك، فهو الغني الكريم الرؤوف الرحيم **عَزَّجَلَّ**.

فإذا انصرفت من صلاتك فاخرج ممتناً لله فرحاً بهدايته وإعانته، فقد وفقك إلى الصلاة وأنسها وبركتها، في حين تناقل عنها كثيرون وضيعوها وغفلوا عنها، وإنك لم تُقبل على الصلاة ويسهل أداؤها عليك إلا لإيمانك بالله ويقينك بلاقائه، قال تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلْكُوا رَبَّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: ٤٥-٤٦].

فاهناً بصلاتك واستبشر بها، واحمد ربك على هدايته وتوفيقه، وهنيئاً لك هنيئاً، وبشرى لك بشرى.



ذِكْرُ اللَّهِ



جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَّ أَعْيُنِ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّهُ بِهِ، قَالَ: «لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^(١). لقد أرشده النبي ﷺ إلى خصلة جامعة لخصال الخير، وهي: ذكر الله عزَّ وجلَّ بالثناء عليه، وتعظيمه، وتوحيده، ودعائه.

فذكر الله حياة كما قال ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^(٢).

وذكر الله صلة بالله وقرب منه، فالله مع من يذكره، قال ﷺ يقول الله عزَّ وجلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ

(١) «سنن ابن ماجه» (٣٧٩٣)، و«سنن الترمذي» (٣٣٧٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٠٧).



إِلَيَّ بِشِيرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمَشِي أَتَيْتُهُ هَرَوَلَةً»^(١).

ما أعظم شرف الإنسان! وما أكرمه على الله! أن يذكره ربه العظيم في الملاء الأعلى، وأي رفعة وتشريف يرفعها الذكر لهذا الإنسان حتى يذكره ربه وهو المخلوق القليل الضئيل العابر في مثل الومضة على هذا الكون، فينال هذه الوجاهة والمنزلة، ويرفع ذكره فوق السماوات العلى، بذكر الله عزَّجَلَّ له عند ملائكته الكرام، فهو القائل عزَّجَلَّ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وذكر الله هو أفضل العبادات وأيسرها، ولذا كان شأن عباد الله الصالحين ذكر الله على كل أحوالهم؛ ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وهو العبادة التي أمر الله بالإكثار منها لئسرها وعظيم أجرها، فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢]، وقال: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وأفضل الذكر لله ما علمناه نبينا ﷺ من جوامع الشناء على الله وتعظيمه، ومنه:

(١) «صحيح البخاري» (٧٤٠٥)، و«صحيح مسلم» (٢٦٧٥).

١- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١).

٢- «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»^(٢).

٣- «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(٣).

٤- وجاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني شيئاً أقوله، قال: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ». فقال الأعرابي: هذا الربّي، فما لي؟ قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي»^(٤).



(١) «صحيح البخاري» (٨٤٤).

(٢) «مسند أحمد» (٨٠١٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٦٦٨٢).

(٤) «صحيح مسلم» (٢٦٩٦).



الدعاء عبادة



توجهُ المؤمن إلى الله بالدعاء عبادةٌ يثاب عليها، ويتلقى الله عبده إذا سأله وألح عليه بالكرم والفضل، ومن كرم الله على عباده أن أمرهم أن يدعوه ووعدهم أن يجيبهم، فقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ولا يمكن أن يتوجه المؤمن إلى ربه بالدعاء فيرده خائباً، ولكن تحقيق المسألة يرجع إلى علم الله وحكمته، فقد يؤخر تحقيق المطلوب لأن مصلحة الداعي في ذلك، وقد يعطيه خيراً مما سأل، وقد يدّخرها له أجراً في الآخرة يجده أحوج ما يكون إليه، قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو



بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». قَالُوا: إِذَنْ نُكْثِرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»^(١).

فكل دعاء نتوجه إلى الله به فهو عبادة نثاب عليها، وخضوع لربنا يرفعنا الله به، وكن على يقين أنك تسأل رباً كريماً لا يمنع ما عنده، ورباً غنياً لا ينفد ما عنده، وقديراً لا يعجزه شيء، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْ سَكُمُ وَجَنَكُمُ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ»^(٢).



(١) «مسند أحمد» (١١١٣٣).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٧٧).



القرآن الكريم



جاء جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من مكة إلى المدينة، وكان مشركاً لم يسلم بعد، قال: فدخلت المسجد والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يصلي بالناس صلاة المغرب، فسمعتة يقرأ سورة الطور فلما بلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِرٌ رِيَّاتٌ أَمْ هُمُ الْمُضَيَّبُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥-٣٧]، فلما سمعتها كاد قلبي أن يطير^(١).

إن هذه الآيات هزّت وجدانه كما هزّت قناعاته، وتأثر بروعة بيانها وقوة حجتها حتى كاد قلبه أن يطير من عظمة ما سمع، وقوة وقعه على نفسه. ولذلك قال: وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.

لقد أعلن جبير إسلامه بعد ذلك بسنوات، ولكن سماعه لهذه الآيات كان بداية الهداية، وهذا من عظمة القرآن، ببلاغة بيانه، ووضوح برهانه، وقوة تأثيره على العقل والقلب.

(١) ينظر: «صحيح البخاري» (٤٨٥٤).



إنَّ القرآنَ الكريمَ هو كلامُ الله الذي أوحاه إلى رسوله ﷺ ، وهو الحق الذي لا شك فيه ولا تردّد؛ ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وفيه هداية للدين الحق والطريق القويم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقد أنزله الله كلاماً بليغاً محكماً مدهشاً، يعجز الناس أن يأتوا بما يشابه بلاغته وبيانه، وتحدى الكافرين به فأعجزهم، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٣) فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

وتعهد الله بحفظه ولذا بقي كل هذه القرون المتتابعة كما هو عندما أنزل على رسول الله ﷺ ، ومخطوطات القرآن التي كتبت في أزمان متباعدة وبلدان متفرقة كلها متفقة على نصّه لا يوجد بينها فرق ولا اختلاف.

وهذا الكتاب العظيم حافلٌ بالقضايا الكبرى في الحياة، ففيه ثناء الله على نفسه وتعرفه إلى عباده بصفاته العلى، وأسمائه الحسنى، وبيان استحقيقه للعبادة وحده لا شريك له، وفيه إثبات البعث بعد الموت وذكر الآخرة، ووصف مشاهدها، ووصف الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وفيه قصص الأنبياء وأخبارهم مع أممهم، وفيه الأمر بفضائل الأعمال، والدلالة على مكارم الأخلاق.



وقراءة القرآن والاعتبار بآياته عبادة لله، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَوَاوٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١).

لقد أنزل الله علينا هذا القرآن ليكون حاضراً في حياتنا، نقرأه ولا نهجره، ونعمل به ولا نُعرض عنه، وكلّما كانت صلتنا بالقرآن أقوى كُنّا بالله أعرَفَ وإليه أقرب.



(١) «سنن الترمذي» (٢٩١٠).



رابعاً



خطايانا

التعثر بالأخطاء



يَعْلَمُ المسلم والمسلمة أن دخوله في الإسلام يعني أنه قد اهتدى إلى الله خالقه، وأنه سلك الطريق الصحيح إلى الله، وهو الصراط المستقيم الذي يوصل إلى رضا الله وجنته.

ولكنّ المسلم لن يَنْفَكَ عن بشريته، واحتمال وقوعه في الأخطاء السلوكية، أو التقصير في بعض ما أمره الله به، وهنا لا بد من التأكيد على نقاط مهمة:

١- أنه لا واسطة بيننا وبين الله لمغفرة الذنوب والخطايا، وليس هناك بشر نعترف له بهفواتنا، أو نطلب عَفْوَهُ عن خطايانا عند الله، ولكن نُبْقِي هفواتنا سرّاً بيننا وبين الله نعترف له بها، ونتوب إليه منها: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

٢- ونَعْلَمُ أن ربنا رحيمٌ واسع الرحمة، غفور عظيم المغفرة، يتوب علينا إذا تبنا صادقين، ويغفر لنا إذا استغفرناه نادمين، وأنه يرحمنا إذا رأى ندمنا،



وأن كل ذنب نندم بسبب وقوعه منا، ثم نستغفر الله منه؛ فإنه سيغفره لنا ويعفو عنا.

٣- وعلينا أن ننتبه إلى أن أعظم حيلة يحاول الشيطان أن يوقع الإنسان في شراكها هي أن يُشعره باليأس من رحمة الله؛ حتى يوحشه من الله؛ ويُبعده عنه، ولذا فإن علينا أن نعلم أن الله أرحم بنا من أمهاتنا، وأن عفوه أعظم من خطايانا، وأنه يفرح بنا إذا أقبلنا عليه طالبين عفوه، وتوسلنا إليه، أن يغفر خطايانا: ﴿قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۗ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمَلٍ مِّنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، فكلما استغفرت ربك فستجده غفوراً لذنبك رحيماً بك.



الخطايا المصاحبة



قد تُصاحِبُكُ بعض الأخطاء التي أذمنتَ عليها قبل إسلامك، وتجد أنك لم تتخلص منها، فعليك أن تبذل جهدك في التّعافي منها ما استطعت، ولكن إذا أخفقت في ذلك أو عدتَ إلى شيء منها قد اعتدته؛ فاعلم أنك أن تلقى ربك وأنت مسلم مذنب، خيرٌ لك من أن تلقاه مذنباً وأنت معرضٌ عنه.

واعلم أن الشيطان قد يوحى إليك عند الوقوع في الذنب أن الإسلام معاناةٌ لا تُطيقها، وحينئذٍ قد يكون ذلك سبباً لترك الإسلام عند بعض الناس، فاعلم حينئذ أن بقاءك على الإسلام مهما كانت معصيتك، خيرٌ لك من أن تلقى الله كافراً به سائراً على غير دينه الذي ارتضاه للناس؛ لأن الله يغفر الذنوب كُلَّها مهما كثرت، ولكنه لا يغفر الكفر به والإعراض عن دينه؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وما أشقى حال من يكفر بالله بعد أن عرفه؛ فهذا حاله كحال الشيطان الذي كفر بالله بعد معرفته والإيمان به.



وقد ذكر الله حال المترددين في إيمانهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧].

وقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].



هل ورثنا الخطيئة؟



علينا أن نعلم أن الله خلقنا أطهاراً أنقياء، وأنا أتينا إلى الدنيا بصفحة بيضاء نقية، على الفطرة السوية، التي فطر الله الناس عليها، لا نرث خطيئة، ولا نحمل إثماً بسبب ذنبٍ لم نعمله، ولذا كان النبي ﷺ يشبه حالة النقاء من الذنوب بلحظة الميلاد، فيقول في وصف من رجع من حجه المقبول: «رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(١)، أي: أنه رجع نقياً طاهراً بلا ذنب. وأن الله لن يؤاخذنا بخطيئة أبينا الأعلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما أنه لن يؤاخذنا بخطيئة أبينا الأقرب الذي نتنسب إليه.

وأن الله بعدله وحكمته، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه هو، لا بذنب أحدٍ غيره، كما قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨-٣٩].

(١) «صحيح البخاري» (١٥٢١)، و«صحيح مسلم» (١٣٥٠).



خطايانا قبل الهداية



جاء عمرو بن العاص إلى النبي ﷺ مسلماً، وكان من المشركين الذين حاربوا الإسلام عشرين سنة، فلما جلس عند النبي ﷺ قال: يا رسول الله، ابسط يدك أبياعك، فلما بسط النبي ﷺ يده عمرو يده، فقال له ﷺ: «مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟!». قال: أردتُ أن أشرط، قال: «تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟». قال: أشرط أن يغفر الله لي ما مضى من ذنوبي. فقال ﷺ: «يَا عَمْرُو، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجُوبُ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الذُّنُوبِ؟!»^(١).

لقد أخبر النبي ﷺ عمراً أنه بإسلامه وتوبته قد مَحَا كل ما سبق من خطاياها، وأنه بتوبته ولد ميلاداً جديداً، واستأنف حياة جديدة.

فبشرى لك أخي، وبشرى لك أخي فبعد إسلامك سوف تَتَحَوَّل سَيِّئَاتُكَ التي اقترفتها قبل إسلامك إلى حسنات، وهذا فضل من الله، ومكافأة لعباده إذا دخلوا في الإسلام.

(١) «مسند أحمد» (١٧٧٧٧).



فمن اقترف شيئاً من الذنوب قبل إسلامه كالزنا وشرب الخمر أو غيرها ثم أسلم وتاب، فإن الله يَمُنْحُه شيئين:

- العفو عن هذه الذنوب، فلا يحاسبه عليها.

- وَيُبَدِّلُ اللهُ هذه السيئات إلى حسنات.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٨-٧٠﴾، فما عليك إلا أن تكون مسلماً مستقيماً بعد إسلامك، وسوف تتحوّل كل أعمالك إلى رصيدٍ إيجابيٍ لصالحك.

وأما أعمالك الصالحة قبل الإسلام فهي محفوظة لك ومقبولة منك، فقد سأل أحد الصحابة رسول الله ﷺ عن أعمالٍ صالحة كان يعملها قبل أن يسلم فقال له رسول الله ﷺ: «أَسْلَمْتَ عَلَيَّ مَا أَسْلَفْتَ مِنْ خَيْرٍ»^(١) أي: أن ما مضى من أعمالك الصالحة قبل إسلامك ثابت لك أجره. فما أعظم فضل الله وجوده على من أسلم، تُقبل حسناته السابقة وتُغفر سيئاته السابقة وتُبدل حسنات.

(١) «صحيح مسلم» (١٢٣).

كما أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من كان من أهل الكتاب من اليهود أو النصارى ثم آمن به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واتبعه فإنه يؤتى أجره مرتين، لأنه آمن بنبيه ثم آمن بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجمع أجر الإيمان بهما جميعاً.



الرحمة الإلهية



كان النبي ﷺ جالساً مع أصحابه فرأوا امرأة مقبلة، قد زاغ بصرها، وانتفش شعرها، وهي تجول ذاهلة تبحث عن ولد لها رضيع قد فقدته، فبينما هي تبحث عنه بولٍ ولهفةٍ إذا بها تجده فانفرطت عواطفها وأخذته وألزقته بصدرها وهي تجهش بكاء، ثم أخرجت له ثديها ترضعه حبها ولبنها، وكان مشهداً عاطفياً مؤثراً، تأثر به كل من شاهده، وهم يرون لوعة الأم على ولدها يوم فقدته، ورحمتها به حين وجدته، وإذا النبي ﷺ يستشير انتباههم بسؤال مفاجئ حيث قال لهم: «أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟». فقالوا جميعاً: لا والله يا رسول الله، فقال ﷺ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا»^(١).

إن هذا المشهد يصور لنا جانباً من الرحمة الإلهية الظاهرة في رحمة هذه الأم بولدها، فكيف إذا علمنا أن هذه الرحمة جزء يسير من مئة جزء

(١) «صحيح البخاري» (٥٩٩٩)، و«صحيح مسلم» (٢٧٥٤).



من رحمة الله كما قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الرَّحْمَةَ مِثَّةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عَنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»^(١).

إن هذه الرحمة الإلهية الغامرة هي أعظم ما نتوسل إلى الله به ونرجوه عنده، وقد عرفنا عز وجل برحمته فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ووصف نفسه بالرحمة فهو الرحمن الرحيم.

إننا إذا علمنا سعة هذه الرحمة الإلهية أنست نفوسنا، وعظم رجاؤنا، وحسن ظننا برّبنا، وعلمنا أننا نعبد رباً رحيماً، هو أرحم بنا من أمهاتنا، فلا نظنّ به إلا خيراً، ولا نرجو منه إلا الخير، وازدادت رغبتنا في فضله، وعظم رجاؤنا في عطاءه، وشوقنا إلى لقائه.



(١) «صحيح البخاري» (٦٠٠٠)، و«صحيح مسلم» (٢٧٥٢).



مغفرة الذنوب



ما أروع هذا المشهد الذي يصور فيه النبي ﷺ فرح الله عز وجل بتوبة الخاطئ إذا ندم وتاب، وكيف يتلقى الله هذا التائب، ويقبل هذه التوبة، ويفرح بهذا الخاطئ الذي ندم وأقبل، فقال ﷺ: «لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل بأرضٍ دويّةٍ مهلكةٍ معه راحلته عليها زاده وطعامه وشرابه وما يصلاحه فأصلها فخرج في طلبها، حتى إذا أدركه الموت قال: أرجع إلى مكاني الذي أضللتها فيه فأموت فيه، فرجع إلى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وما يصلاحه فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك - أخطأ من شدة الفرح - فالله أشد فرحاً بتوبة العبد من هذا براحلته وزاده»^(١).

فما ظن التائب إذا علم أن ربه يفرح بتوبته فيقبله، ويغفر له ويطهره من ذنوبه كأنما ولد من جديد.

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٤٤).



ولذا فإن خطايانا وإن كثرت، وذنوبنا وإن عظمت، لا تحجبنا عن الله إذا أقبلنا إليه نادمين مستغفرين، فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، ﴿وَمَنْ يَعْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، وهو القائل: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثَرَّ أَهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢]، والقائل: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثَرَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤].

إن الله لا يطلب عباده بثأراً، ولا يتقصدهم بعقوبة ما استغفروه وقصدوه، قال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أَبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(١).



(١) «مسند أحمد» (٢١٤٧٢)، و«سنن الترمذي» (٣٥٤٠).



خامساً



← هدايات →

من القرآن

هدايات سورة الفاتحة^(١)



﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ [الفاتحة: ١-٧].

سورة الحمد من قصار السور ولكنها أم الكتاب، وأعظم سورة في القرآن، فعن أبي سعيد بن المعلّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «أَلَا أَعْلَمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أُخْرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ؟!». فذهب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخرج من المسجد، قال: فذكرته، فقال: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ»^(٢).

(١) اختصرت الكلام عن هذه السور من «في ظلال القرآن» لسيد قطب، و«نحو تفسير موضوعي»

لسور القرآن» لمحمد الغزالي.

(٢) «صحيح البخاري» (٤٧٠٣).



وقد تضمنت هذه السورة خلاصة وجيزة لعقائد الإسلام، وعهداً وثيقاً بين الناس وربهم يحقق رسالتهم في الوجود، ورجاءً في الله أن يهدي الطريق، ويمنح التوفيق، ويُنعِم بالرضا...

والبداء باسم الله هو الأدب الذي أوحاه الله لنبيه ﷺ في أول ما نزل من القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].. وهو الذي يتفق مع الإيمان بأن الله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].. فهو -سبحانه- الموجود الحق الذي يستمد منه كل موجود وجوده، فباسمه إذن يكون كل ابتداء.

وعقب البدء بـ«بسم الله الرحمن الرحيم» يجيء التوجه إلى الله بالحمد، ووصفه بالربوبية المطلقة للعالمين: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]..

والحمد لله هو الشعور الذي يفيض به قلب المؤمن بمجرد ذكره لله.. فإن وجوده ابتداء ليس إلا فيضاً من فيوضات النعمة الإلهية التي تستجيش الحمد والثناء. وفي كل لمحة وفي كل لحظة تتوالى آلاء الله، وتغمر خلائقه كلها وبخاصة هذا الإنسان.. ومن ثم كان الحمد لله ابتداء، وكان الحمد لله ختاماً: ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ [القصص: ٧٠]..

أما شطر الآية الأخير: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فالرب هو المالك المتصرف.



﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ سيد العوالم كلها، من السماء إلى الأرض، من الحيوان إلى النبات، من الملائكة إلى البشر، والعالم هو كل ما عدا الله **عَزَّوَجَلَّ**، وكل ما عدا الله فهو مَرْبُوبٌ له فقير إليه.

فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض رب العالمين، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم.

والرب هو الخالق وهو المدبّر والمصرّف لجميع الخلائق، فإنه سبحانه لم يخلق الكون ثم يتركه هملًا. إنما هو يتصرف فيه ويدبّره ويرعاه ويربّيه. وكل العوالم والخلائق تُحفظ وتُتعهد برعاية الله رب العالمين.

والصلة بين الخالق والخلائق دائمة ممتدة قائمة في كل وقت وفي كل حالة.

وبهذا تبدو العقيدة الإسلامية رحمة حقيقية للقلب والعقل، رحمة بما فيها من جمال وبساطة، ووضوح وتناسق، وقرب وأنس، وتجاوب مع الفطرة مباشر عميق.

﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.. هذه الصفة التي تستغرق كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها، وصفة «الرحمن» صيغة مبالغة، تدل على عظمة الرحمة وسععتها، وصفة «الرحيم» صيغة مبالغة تدل على دوام هذه الرحمة واستمرارها.



والرحمة هي السمة البارزة في تلك الربوبية الشاملة، الصلة الدائمة بين الخالق ومخلوقاته.. صلة الرحمة والرعاية التي تستجيش الحمد والثناء. فالحمد هو الاستجابة الفطرية للرحمة الندية.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.. وهذه تمثل الكلية الضخمة العميقة التأثير في الحياة البشرية كلها، كلية الاعتقاد بالآخرة.. ويوم الدين هو يوم الجزاء في الآخرة، والله هو مالك الدنيا كلها، والآخرة كلها، ولكن الله ذكر ملكه ليوم الدين لأنه اليوم الذي تزول فيه كل أنواع الملك المؤقتة في الدنيا، ويوافي الناس ربهم عرايا من كل ما تملكوه في الدنيا؛ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وِرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ولا يبقى ملك إلا للملك الحق؛ ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.. وهذه هي الكلية الاعتقادية التي تنشأ عن الكليات السابقة في السورة، فلا عبادة إلا لله، ولا استعانة إلا بالله.

وهذه الكلية تعلن التحرر البشري الكامل الشامل. التحرر من عبودية الأوهام، وعبودية الأصنام، وعبودية الطواغيت. وإذا كان الله وحده هو الذي يُعبد، والله وحده هو الذي يُستعان، فقد تخلص الضمير البشري من استذلال جميع أنواع العبوديات لغير الله عزَّوجلَّ..



﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ ..

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .. وفقنا إلى معرفة الطريق المستقيم
الواصل، ووفقنا للاستقامة عليه بعد معرفته، فالمعرفة والاستقامة كلتاهما
ثمرة لهداية الله ورعايته ورحمته، والتوجه إلى الله في هذا الأمر هو ثمرة
الاعتقاد بأنه وحده المعين، وهذا الأمر هو أعظم وأول ما يطلب المؤمن
من ربه العون فيه. فالهداية إلى الطريق المستقيم هي ضمان السعادة في
الدنيا والآخرة عن يقين..

وهذا الدعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ كأنه محور السورة، فما
قبله ينتهي إليه، وما بعده يتدنى به، فأول السورة حمدٌ لله، وثناءٌ عليه،
وتمجيدٌ له، وتوسُّلٌ إليه بتوحيده، ثم يأتي هذا الدعاء: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾، وما بعده بيان لحقيقة الصراط، وأعظم أنواع الانحراف عنه،
فكأنما سورة الفاتحة سورة الهداية والاستهداء.

إنَّ هؤلاء الذين سلكوا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ إنَّما سلكوه بإنعام الله عليهم
بالهداية والإعانة، ولولا هداية الله ومعونته لم يهتدوا إليه، ولم يسيرا فيه،
ولذا فنحن نسأل الرَّبَّ الذي هداهم أن يُنعم علينا بالهداية كما أنعم عليهم.
وهذا هو الطريق المستقيم، لا طريق الذين غضب عليهم لمعرفة
الحق ثم حيدتهم عنه. أو الذين ضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه..



وهذا يبيّن أن الاستقامة علم وعمل، وعبادة على بصيرة، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وأن الانحراف يكون بالإخلال بواحد منهما، فمن علم ولم يعمل استحق غضب الله، ومن عمل بلا علم تخبط في متاهة الضلال، وصار من الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ومن استقام اهتدى إلى الله؛ ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

وهذا الصراط المستقيم هو الذي ينتهي بسالكيه إلى نزلهم في الجنة، ولذا فإن أهل الجنة إذا تبوأوا منازلهم فيها تذكروا بامتنانٍ هداية الله التي صحبتهم حتى أوصلتهم، فقالوا باغتباطٍ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ونحن نكرر الدعاء لأنفسنا، كما نكرر غسل أعضائنا؛ لأن أسباب هذا التكرار قائمة، فرغونات النفس ووساوس الشيطان لا تنتهي، فلا بد من تكرار الدعاء، واستدامة التضرع.

وهكذا في سطور قلائل تم تصوير العلاقة الوحيدة الممكنة بين الناس ورب الناس، وهي الاعتراف به، والثناء عليه، والاستعداد للقائه، والتعهد بعبوديته، ثم الرجاء إليه أن يجعلنا كما يحبّ.

وبعد: فهذه هي السورة المختارة للتكرار في كل صلاة، وفيها على قصرها تلك الكليات الأساسية في التصور الإسلامي، ومن فضلها ما



أخبر به النبي ﷺ عنها، قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». فإذا قال العبدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «حَمِدَنِي عَبْدِي». وإذا قال: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، قَالَ اللهُ تَعَالَى: «أَتْنَى عَلَيَّ عَبْدِي». وإذا قال: ﴿مَلِكٌ يَوْمَ الدِّينِ﴾، قَالَ: «مَجَّدَنِي عَبْدِي». فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، قَالَ: «هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ». فإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، قَالَ: «هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(١).



هدايات قرآنية



﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [٣١] الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٢﴾ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَىٰ ۗ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾ [٣٣] يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦١-٢٦٤].

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].



﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَبُزَكِيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۗ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].



﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مِثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا
مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢-٣٣].

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ اُدْعُوا
رَبَّكُم تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
[الأعراف: ٥٤-٥٦].

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].



﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكْمُرُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

﴿نَبِّئِ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠].

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [النحل: ٩٠-٩١].

﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۗ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَالِدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبُّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

﴿يَأْتِيهَا الذِّبْرَانُ ءَامِنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِئُومٌ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١].



هدايات نبوية



١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ آخِرُ حِرْصٍ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ، كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»^(١).

٢- عَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمُحَّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»^(٢).

٣- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ، وَقِيلَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَجِئْتُ فِي النَّاسِ لِأَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَبْتَنْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَرَفْتُ أَنْ وَجْهَهُ

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٦٤).

(٢) «مسند أحمد» (٢١٣٥٤)، و«سنن الترمذي» (١٩٨٧).



ليس بوجه كذاب، فكان أول شيء تكلم به أن قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسَ نِيَامًا، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»^(١).

٤- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(٢).

٥- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ. وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلِجَةِ»^(٣).

٦- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا لَقَيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»^(٤).

٧- عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصْبِرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(٥).

(١) سنن الترمذي (١٨٥٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٧٨).

(٣) صحيح البخاري (٣٩).

(٤) صحيح مسلم (٢١٦٢).

(٥) صحيح البخاري (١٤٦٩)، وصحيح مسلم (١٠٥٣).



٨- عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ»^(١).

٩- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»^(٢).

١٠- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفْرُقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ، قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(٣).

١١- عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ»^(٤).

١٢- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْدُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ»^(٥).

(١) «صحيح البخاري» (٧٣٧٦)، و«صحيح مسلم» (٢٣١٩).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٨٦)، و«صحيح مسلم» (٢٥٥٧).

(٣) «صحيح مسلم» (١٧١٥).

(٤) «صحيح مسلم» (٢٦٢٦).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٥٦٤).



١٣- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ، وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ، وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ، حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا»^(١).

١٤- عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلَ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^(٢).

١٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلْ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلْ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»^(٣).

١٦- عَنِ النُّعْمَانَ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٤).

(١) صحيح البخاري (٦٠٩٤)، و«صحيح مسلم» (٢٦٠٧).

(٢) سنن أبي داود (٤٧٩٩)، و«سنن الترمذي» (٢٠٠٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٧٢٠).

(٤) صحيح البخاري (٦٠١١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٨٦).



١٧- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَتَّقْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ»^(١).



(١) «صحيح البخاري» (٦٠١٨)، و«صحيح مسلم» (٤٧).



في الختام



ينبغي لِمَن هداه الله إلى الإسلام:

١- أن يتعرّف على دينه، ويجتهد في معرفة أحكامه ومقاصدها، ويبدل ما يستطيعه في سبيل ذلك: قراءةً ودراسةً ومجالسةً لِمَن لديه علمٌ صحيح عن الإسلام.

٢- وإذا اكتشف في نفسه اللياقة أن يكون عالماً من علماء الإسلام، ووجد الإمكانيات المساعدة لذلك فهذا طموح محمود، فالإسلام دينٌ يفتح الباب لأتباعه الأصليين والجُدد؛ ليترقّوا في مختلف علومه؛ إذ ليس هناك علمٌ خاصّ بالمسلمين الأصليين دون المسلمين الجدد، وتاريخ الإسلام شاهدٌ بهذه الحقيقة.

٣- وأن يعلم أنّ الإسلام ليس مجرد معرفة أو معلومات، وإنما هو منهجٌ إلهيٌّ للحياة، مطلوبٌ من كل مسلمٍ ومسلمة تطبيقه في حياته؛ ليكون المسلم مسلماً قولاً وعملاً.



ومما يعينك في ذلك:

أ. إحاطة نفسك بصحبة صالحة تعينك على الخير، والانتظام في أداء ما يمكنك من الصلوات في مسجد قريب منك إن أمكنك ذلك.

ب. التواصل مع المسلمين في المساجد والمراكز الإسلامية، ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي، والقنوات الإسلامية الناطقة بلغتك؛ لتحفظ بحيويتك، وتتمكن من معرفة المزيد عن الإسلام، وتشارك إخوانك وتستفيد من تجاربهم. ونقترح عليك الاستعانة برأي أصدقائك الثقات. لأن الفضاء الإعلامي مملوء بالغث والسمين، والجيد والرديء.

ج. قراءة القرآن الكريم بترجمة صحيحة بلغتك، والوقوف مع الآيات الواضحة في دلالتها، كآيات التعظيم لله والثناء عليه، وقصص الأنبياء، وما يأمر به من كريم الأخلاق، وما يحذر عنه من المحرمات.

د. تثبيت العبادات من الصلوات المستحبة والأذكار وقراءة القرآن والصدقة في برنامجك اليومي، والاستمرار عليها بالقدر الذي تطيقه وتستطيع الاستمرار عليه، وقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ»^(١).

(١) «صحيح مسلم» (٢٨١٨).

هـ. أن تتوقف عن التفكير السلبي، مثل الاستغراق في الندم على ماضيك قبل الإسلام، أو ذنوبك السابقة قبل الهداية. فهذا النوع من التفكير يُعيقك عن العمل الإيجابي.. توقّف.. انظر إلى الأمام.. وامنح عهدك الجديد وقتك وجهدك، فهذه أفضل وسيلة عمليّة للتعويض عما فات.

و. لا تشتت بين أمور كثيرة من أعمال الخير فترتبك وتحتار وتفقد تركيزك مما يجعلك تضيع أجمل فترات الهداية وتذوق نعيمها، وإنما عليك التوجه إلى ما تحسنه من أعمال الخير وما يلائم طبيعتك وإمكاناتك وقد قال ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَكِنْ تَحْضُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةَ، وَلَكِنْ يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ»^(١).

ز. المحافظة على صلتك الخاصة بالله وذلك بالمحافظة على الصلوات حسب ما تعلمت وما تحسن، وكثرة ذكر الله ودعائه، واعلم أنه لن يتخلى عنك وأنت مقبل عليه.

وأودعكم أخي وأختي وأخبركم أننا نحبكم، ونحس بأخوتكم وقربكم، وندعو الله لكم بالنجاح في حياتكم، والثبات على الإسلام، وأن نلتقي وإياكم غداً في الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

(١) «مسند أحمد» (٢٢٣٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧٧).



اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ أَنْبِيَائِكَ وَرَسَلِكَ وَعَلَى
آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى سَائِرِ إِخْوَانِهِ أَنْبِيَائِكَ وَرَسَلِكَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ


أَخْوَكُمْ


عبد الوهاب الطريري





وبعد الختام فإنه يسرني -أخي القارئ أختي القارئة- تفاعلكم مع ما قرأتموه، وتلقي أي ملاحظة أو وجهة نظر، ومراسلتي بها على البريد والواتساب.

 abdsuleymanoglu@gmail.com

 00905467723779

كما يمكنك إهداء الكتاب إلى أصدقائك الناطقين بالإنكليزية والفرنسية .. على هذا الرابط:



فهرس الموضوعات



٥	مقدمة
٩	أولاً: إيماننا
١١	حياة طيبة
١٥	العلم بالله
٢١	العبادة لله وحده
٢٤	رسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
٢٦	محبة الرسول ﷺ
٣٠	الدين قناعات عقلية ومشاعر قلبية
٣٣	لا ظلمَ اليوم
٣٧	نظرة المؤمن إلى الآخرة
٤١	ثانياً: إسلامنا
٤٣	أسئلة الإسلام
٤٩	نعمة الهداية
٥٢	الثبات على الإيمان
٥٤	عالمية الإسلام
٥٧	إسلامك وعلاقاتك
٥٩	إسلامك ومسؤولية
٦٠	التعريف بالإسلام
٦٣	الرجل والمرأة
٦٥	الدين يسر
٦٧	المحافظة على نجاحاتك



- ٧٠ حُسن الخلق
- ٧٤ مَنْ يمثّل الإسلام؟
- ٧٧ دين المسلمين وواقعهم
- ٧٩ **ثالثاً: عبادتنا**
- ٨١ عبادتنا حياتنا
- ٨٥ فضل الصلاة
- ٨٧ سكينه الصلاة
- ٩٠ ذكُر الله
- ٩٣ الدعاء عبادة
- ٩٥ القرآن الكريم
- ٩٩ **رابعاً: خطايانا**
- ١٠١ التعثر بالأخطاء
- ١٠٣ الخطايا المصاحبة
- ١٠٥ هل ورثنا الخطيئة؟
- ١٠٦ خطايانا قبل الهداية
- ١٠٩ الرحمة الإلهية
- ١١١ مغفرة الذنوب
- ١١٣ **خامساً: هدايات من القرآن**
- ١١٥ هدايات سورة الفاتحة
- ١٢٢ هدايات قرآنية
- ١٢٧ هدايات نبوية
- ١٣٢ في الختام



TO BROTHER & SISTER

Letters Guiding To a Good Life

إلى أخي وأختي ..

هذه رسائل مختصرة لبعض معالم الدين الهادية، والتي بمعرفتها تتضح رسالة الحياة، ويجد كل باحث عن المعنى معنى لوجوده، ويخرج من متاهة الحيرة . وسوف تتضح أمامه الرؤية، فيعرف طريقة ومسار حياته، ومهمته فيها، ووظيفته ومسؤوليته وإنجازه في عمره، وتُكشَف له أستار الغيب عمّا بعد الحياة، ومصير الخلود الأبديّ، وإنما يجيب على أسئلة الحياة من وهب الحياة، الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

فمع هذه الرسائل الأخوية ، مصحوبة بمحبتتي الصادقة، ودعواتي الخاصة.

عبد الوهاب الطيرري